الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون–تيارت–

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

مذكرة لنيل شهادة الماستر في شعبة اللغة والأدب العربي

التخصص: نقد حديث ومعاصر

بعنوان:

الخطاب الدُعَائِي بين عالم التخييل ووظائف التأثير

من اعداد الطالبتين:

– ميلودي زهرة

– نعيمي مليكة حياة

تحت اشراف الأستاذ:

د/مهيدي منصور

لجنة المناقشة:

أعضاء اللجنة	الرتبة	الصفة
الميلود عزوز	دكتور	رئيسا
منصور مهيدي	دكتور	مشرفا
قوتال فضيلة	دكتورة	مناقشا

السنة الجامعية: 2020–2019

1440هـ/1441هـ

شكر وعرفان

نحمد الله سبحانه وتعالى الذي يسّر لنا الظروف، وأنعم علينا بالقوة والصبر حتى وصلنا إلى ما نحن عليه.

وصدق حبيب الله حين قال" من لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن أسدى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تستطيعوا فادعوا له."

أتقدم بالشكر إلى كل من:

الأستاذ المشرف الدكتور " **مهيدي منصور**" على وساطته العلمية وعلى مساعدته لنا في إنجاز هذا العمل.

وإلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي الذين ساندونا في مشوارنا الدراسي.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذه المذكرة وتقبلهم قراءتها وتصويب اعوجاجها.

شكرا لكل من ساهم في هذا العمل ولو بكلمة طيبة.

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

قرّة عيني والداي الكريمين أطال الله عمرهما

وجدتي حفظها الله واطال عمرها

إلى اخوتي نوال نورة وهيبة وإلى أعز انسان على قلبي اخي

الصغير محمد وكل العائلة

إلى من جمعتني بها حسن الصداقة والرفقة الطيبة حياة.

وإلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في انجاز هذا العمل.

إلى كل من ذكرهم قلبي ونسيهم قلمي.

زهرة

بسم الله الرحمان الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ومن تبعه

بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

أهدي ثمرة جهدي هذا العمل المتواضع

إلى الأب العزيز الذي لم يتوان عن مساعدتي وإنارة دربي

والأم الحنونة التي سهرت من أجلي حفظهم الله وأطال عمرهما

دون أن أنسى إخوتي وأخواتي وجميع العائلة

وإلى كل الأحباب والأصدقاء دون استثناء

وإلى كل الأساتذة الذين سهروا على تعليمنا

حياة

مقدمة

المقدمة:

عرف عصرنا الراهن عودة البلاغة من جديد خاصة بلاغة الإقناع التي ركزت على مقصدية الخطاب واهتمت بكشف علاقة البنية الداخلية للنص بالعناصر المرجعية الخارجية من خلال تقاطع التخييل والتداول، كما أنها قد انفتحت على أنواع خطابية مختلفة، فامتدت لكل ما هو شعري أو إقناعي أو سردي، ورفضت أن تضع حدودا فاصلة بين التخييل والتداول. فالخطاب عموما وحدة تواصلية إبلاغية متعددة المعاني ناتجة عن مخاطب معين، وموجهة إلى مخاطب معين، عبر سياق معين، وهو يفترض وجود سامع يتلقاه، مرتبط بلحظة إنتاجه، لا يتجاوز سامعه إلى غيره، وهو يدرس ضمن لسانيات الخطاب، وحتى يتم اقناع المتلقي أو التأثير فيه يتم عادة اللجوء إلى الدعاء وهذا التأثير لا يكون إلا من خلال اللغة، معنى هذا أن الخطاب يكتسب صفتي الاتصال والتأثير؛ ولعل جانبا من أهمية هذا الخطاب متمثل في كونه مدينا في أصوله بالقرآن الكريم، فهو يتشرب معانيه، ويسترشد بأساليبه الرفيعة وبلغته المعجزة، ويتماهى مع فلسفة القرآن ونظرته إلى الإنسان والوجود والروح، فإذا أخذنا الدعاء من ناحية القرآن الكريم نجد أن الله سبحانه وتعالى توعد المتكبرين بنار جهنم ووعد بالاستجابة لمن دعاه من عباده فقال: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} وقال عليه الصلاة والسلام (الدعاء هو العبادة) ، وقال ابن كثير رحمه الله: (هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه وتكفل لهم بالإجابة). كما كان سفيان الثوري يقول: (يا من أحب عباده إليه من سأله فأكثر سؤاله، ويا من أبغض العباد إليه من لم يسأله، ليس أحد كذلك غيرك يا رب).

ومن عظيم نعمه جل وعلا على عباده التي لا تُحصى، أن أذن لهم بالدعاء، وأرشدهم إلى سبله، ووعدهم بالإجابة، والإثابة عليه منه تفضلاً، وتكرماً وإحساناً، وبيّن كتاب ربنا جلّ ثناؤه أهميته وعظم شأنه، فقد افتتح كتابه الحكيم به في أعظم سورة في القرآن:{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}، واختتم عز شأنه كتابه بسورتين بأفضل ما يتعوذ بهما المتعوذون (المعوذتين)، فأول القرآن وآخره مشتملٌ على الدعاء (وإذا تأمل العبد آيات التنزيل رأى فيه نحو ثلاث مائة آية في الدعاء وفيها من أسرار التنزيل عجباً).

ومن خلال تباين هاته الأفكار نطرح التساؤلات التالية: ما مفهوم الدعاء؟ وماهي العلاقة بينه وبين الخطاب؟ وفيما تتمثل بلاغة الدعاء وجماليته؟ وكيف يتم اقتباس الدعاء من القرآن الكريم؟ ومن الحديث النبوي؟ ومن كلام العرب؟ وكيف يؤثر الدعاء في المتلقي؟ وماهي الوظائف الحجاجية للخطاب الدعائي؟

وللإجابة على هذه التساؤلات وغيرها اعتمدنا على المنهج التداولي كونه يتناسب وموضوع البحث كما اعتمدنا كذلك على المنهج الوصفي في دراسة الجوانب النظرية للبحث وفق إجراء تحليلي. وللإحاطة بالموضوع قد تم تقسيم العمل البحثي إلى فصلين ومقدمة ومدخل وذيلنا بحثنا بخاتمة شاملت أهم النتائج المتوصل إليها، خصصنا الفصل الأول تحت لبلاغة الدعاء وجماليته، وضمّ مبحثين أولهما السمات البلاغية للدعاء ودرسنا في المبحث الثاني مسألة الدعاء والاقتباس، كالاقتباس من القرآن الكريم والدعاء والاقتباس من الحديث النبوي والدعاء والاقتباس من كلام العرب عالجنا فيه كذلك قضية جمالية الدعاء والتخييل في الدعاء.

وفي الفصل الثاني عالجنا موضوع الدعاء والوظائف التأثيرية وضمّ مبحثين أولهما الحتمية الحجاجية للدعاء والمبحث الثاني خصصناه للوظائف التأثيرية للدعاء على المتلقي.

ومن الطبيعي أنه لا يخلو أي بحث من الصعوبات، ومن ضمن ما واجهناه في بحثنا: جائحة وباء كورونا (Covid19) الذي أدى إلى غلق المؤسسات الجامعية والمكتبات، وضعف شبكة الأنترنت، زيادة على ذلك جدة الموضوع المطروح وقلة المراجع والمصادر فيه. وهذا لم يمنعنا من إتمام بحثنا.

وختاما نحمد الله سبحانه وتعالى الذي وفقنا لإتمام هذا الموضوع كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر للأستاذ المشرف "الدكتور مهيدي منصور" على مساعدته لنا في إنجاز هذا العمل والتوجيهات التي قدمها لنا خلال كل مرحلة من مراحل انجاز هذا العمل فله كل الاحترام والتقدير.

ميلودي زهرة

نعيمي مليكة حياة

تيارت يوم:2020/10/15

المدخل:

الدعاء مخّ العبادة

الدعاء مخ العبادة

إن الدعاء عبادة تريح قلب المسلم، وتسكب الطمأنينة على جملة بدنه، ولذلك قال رب العزة: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}. ومن حديث الترمذي يروي عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الدعاء مخ العبادة". فهو مرآة ظهور عبودية الإنسان وصفته وافتقاره إلى ربوبية الله، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ}.

تعريف الدعاء:

الدعاء لغة:

دعا الرجل دعوا ودعاء: ناداه، والاسم الدعوة. ودعوت فلانا أي صحت به واستدعيته[1]. والدعوة؛ المرة الواحدة من الدعاء؛ والدعاء: واحد الأدعية وأصله دعاو لأنه من دعوت، إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت[2].

الدعاء: الرغبة إلى الله تعالى، دعا دعاء ودعوى. والدعاءة: السبابة وهو مني دعوة الرجل، أي قدر ما بيني وبينه ذاك. ولهم الدعوة على غيرهم، أي: يبدأ بهم في الدعاء. وتداعوا عليه: تجمعوا[3]. وكثير الدعاء يُسَمى دعّاءً بصيغة المبالغة، و(الدعاء) في الأصل طلب الفعل من الغير، وخرجت مادة (دعا) إلى استخدام لغوي مجازا أيضًا، ومنه تداعوا عليه: تجمّعوا –وتداعى عليه العدُو من كل جانب :أقبل، وتداعت عليكم الأمم : أي اجتمعوا، ودعا بعضهم بعضا، وفي حديث ثوبان رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها"، ورجل داعية، إذا كان يدعو الناس إلى

[1]ابن منظور، لسان العرب، تصحيح أمين عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسه التاريخ العربي، بيروت، ط3، ج4، مادة دعا، ص360.

[2]ابن منظور، لسان العرب، مج3 ، (د ط)، دار الحديث، القاهرة، 2003 م، (مادة دعا)، ص367 .

[3]مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2007م، ص548.

بدعة أو دين؛ أدخلت الهاء فيه للمبالغة، والنبيء صلى الله عليه وسلم داعي الله تعالى وكذلك المؤذن، والداعية :صريخ الخيل في الحروب لدعائه من يستصرخه، وفي التنزيل:{لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ ولَهُم ما يَدعُوْنْ} ما يتمنون، وهو راجع إلى معنى الدعاء أي ما يدّعيه أهل الجنّة يأتيهم، ومعاجم العربية زاخرة باستعمالات لفظ الدعاء مجازا، قد لا يتسع المقام لحصرها كلها[1].

دعو: الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك. تقول: دعوت أدعو دعاء. والدعوة إلى الطعام بالفتح، والدعوة في النسب بالكسر. قال أبو عبيدة: يقال في النسب دِعوة، وفي الطعام دَعوة. هذا أكثر كلام العرب إلا عَدِى الرباب، فإنهم ينصبون الدال في النسب ويكسرونها في الطعام. قال الخليل: الادعاء أن تدعى حقا لك أو لغيرك. تقول ادعى حقا أو باطلا[2].

اصطلاحا:

تعددت تعريفات العلماء للدعاء في الاصطلاح.

فإن أبا البقاء عرّفه بأنه: "الرغبة إلى الله والعبادة"

وفي إتحاف السادة، أضاف الزبيدي أن حقيقة الدعاء في الاصطلاح: "معنى قائم بالنفس، وهو نوع من أنواع الكلام النفسي، وله صيغ تخصه في الإيجاب افعل، وفي النفي لا تفعل، وقد اجتمعا في قوله تعالى: {رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا...}[3]، وأضاف بأنه:(الرغبة إلى الله) فيما عنده من الخير، والابتهال إليه بالسؤال، ومنه قوله تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً}[4]

---

[1] مسعود خرازي، فن الدعاء في الشعر الجزائري القديم مقاربة أسلوبية، مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات نيل الماجيستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة والأدب العربي، تخصص أدب جزائري قديم، الجزائر، 2008، ص 12.

[2] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج2، دار الفكر للطباعة والنضر والتوزيع، 1979م، ص 279-280.

[3] البقرة، {286}.

[4] الأعراف، {55}.

أما الحليمي فقد عبر عن معنى الدعاء بأنه: "قول القائل يا الله يا رحمن يا رحيم، وما أشبه ذلك.

كما أن الدعاء "كلام إنشائي دال على الطلب مع خضوع ويسمى سؤالا".

وعرفه الجرجاني بأنه "قول يَطلب به الإنسان إثباتَ حقٍّ على الغير"

وعرفه ابن الجوزي بأنه "طلب الأدنى من الأعلى تحصيلَ الشيء" أما دعاء المسألة كما يرى ابن القيم: "طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره أو دفعه".

بعد استعراض تعريفات العلماء لمصطلح الدعاء نلحظ أمرين اثنين:

1-أن كل واحد من العلماء قد تناول جانبا معينا من الدعاء، تناغمت جميعها لتصب في معنى شامل للدعاء.

فالزبيدي عبّر عن الدعاء من حيث هو رغبة ودافع للدعاء، ومعنى قائم بالنفس، وهذا هو الجانب النفسي للكلام، وهو ركن مهم لحصول ما قصده الزبيدي ثانية وهو (الكلام اللفظي المدعو به)، وأما الآخرون فقد أشاروا إلى الجانب اللفظي من الكلام، وأنه قول، وطلب، وسؤال، وهذا الجانب يتحصل بوجود الجانب النفسي.

2-كما يُلحظ في تعريف العلماء للدعاء إبراز الجانب التعبدي به فهو ابتهال ورغبة، واستمداد عون، وإظهار افتقار وذلة بشرية، وبراءة من الحول والقوة إلا بالله، وفيه معنى الثناء على الله، فكأنما قسّم العلماء من خلال تعريفاتهم، الدعاء إلى نوعين رئيسين في الإجمال: "دعاء عبادة وثناء" و"دعاء سؤال وطلب"[1].

قال الخطابي:(معنى الدعاء: استدعاء العبد ربه-عز وجل-العناية واستمداده إياه المعونة).

[1] وداد طاهر محمد نصر، دعاء الأنبياء في القرآن الكريم، قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، في نابلس، فلسطين. 2010 ص 12-14.

وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله [عز وجل]، وإضافة الجود، والكرم إليه؛ ولذلك قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : "الدعاء هو العبادة"[1].

الدعاء، والدعوى، مصدران، ويقال: الطلب، والسؤال، والمسألة: عبادة، وسمة للعبودية، يستدعي به العبد من الله العناية، ويستمد المعونة، ويستجلب الرحمة، ويستدفع النقمة، ويظهر به الافتقار والذلة البشرية، متبرئا من الحول والقوة إلا به[2].

أنواع الأدعية:

الدعاء نوعان: دعاء عبادة وثناء، ودعاء مسألة وطلب وهي كالتالي[3]:

قال ابن تيمية: الدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة، وكلاهما لا يصلح إلا لله تعالى. [مجموع الفتاوى 258/10] [وقال مثله في قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية 108 ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية 297/1]

قال ابن القيم: والدعاء على مرتبتين: الأولى: الثناء، والثانية: السؤال.

أولا دعاء الثناء والعبادة:

1–الله تعالى يحب المدح.

[1] أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي الحافظ، شأن الدعاء، دار الثقافة العربية للنشر والتوزيع، ط3، سوريا، 1992، ص3–4.
[2] بكر بن عبد الله بوزيد، تصحيح الدعاء دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط1، المملكة العربية السعودية، 1999م، ص15–16.
[3] محمد أشرف صلاح حجازي، الدعاء في القرآن، (د ط)، 2012م، ص 1–4 ص11–13.

قال الله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[1]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وما أحد أحب إليه المدح من الله"[صحيح البخاري 5220 ومسلم 2760]

2-لذلك أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يحمده.

قال الله تعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا}[2]

فكان رسول الله يقول صلى الله عليه وسلم:" اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض قولك الحق ووعدك الحق."[صحيح البخاري 7385 ومسلم 769 اللفظ للبخاري]

3-وأمرنا الله تعالى بدعائه دعاء الثناء عليه وشكره وتمجيده.

فقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا}[3]

وقال الله تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}[4]

4-الله تعالى جعل حمده والثناء عليه هو أفضل الدعاء.

قال الله تعالى: {فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}[5]

فأمرنا عز وجل بدعائه والإخلاص له، ثم قال الله تعالى في تمام الآية: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} فعلم أن الحمد هو أفضل الدعاء.

ثانيا: دعاء الطلب والمسألة:

---

[1] الملك، {1}.

[2] الانسان، {26}.

[3] الأحزاب، {41-42}.

[4] البقرة، {152}.

[5] غافر، {25}.

دعاء المسألة هو: طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره أو دفعه.

إن المؤمن لا يتم إيمانه بالأسماء الحسنى حتى يجتهد في دعاء العبادة، ودعاء المسألة، في كل حالاته، في المنشط والمكره، وفي السراء والضراء، وفي سفره وإقامته، وفي عباداته ومعاملاته، وفي شأنه كله، فيتوسل إلى الله سبحانه، ويتضرع إليه دائما بأسمائه الحسنى، ويقدم بين يدي دعائه ما يناسب ذلك الدعاء من الأسماء، فذلك أدعى لقبوله واستجابته.

1-الله تعالى يحب دعاء المسألة:

قال الله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}[1].

-فسمى الله تعالى دعاءه: عبادة.

-وأخبر أن من لم يدعه استكبارا عن دعائه سيعذبهم في جهنم.

-قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من لم يسأل الله يغضب عليه." [حسن لغيره: رواه البخاري في الأدب المفرد 658 والترمذي 3373 وابن ماجه 3827 وأحمد 477،442/2 وحسنه الألباني في الصحيحة 2654]

2-الله تعالى جعل الدعاء هو العبادة:

قال الله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}[2].

[1] غافر، {60}.

[2] غافر، {60}.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الدعاء هو العبادة" [صحيح: رواه أحمد 271/4 وابن ماجه 3828 وأبو داود 1479 والترمذي 3432 وصححه الألباني في صحيح الجامع 641/1]

3-لذلك أمرنا الله تعالى بدعائه دعاء الطلب والسؤال:

ووعدنا بالإجابة، قال الله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}[1]

قال الله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}[2]

فدعاء الله تبارك وتعالى بأسمائه الحسنى، والتوسل بها إليه، عبادة وقربى تستمطر بها رحماته، ونعمه السابغة، وستدفع بها نقمة ومساخطه، فإنه سبحانه لا يضر مع اسمه شيء.

قال ابن العربي: الدعاء هو الطلب، أي اطلبوا منه بأسمائه.

-ويطلب بكل اسم ما يليق به، تقول يا رحيم ارحمني، يا رزاق ارزقني، يا هادي اهدني. احكام القرآن. [351/2]

وكان رسول الله صلى لله عليه وسلم يأمر عائشة رضي الله عنها أن تدعو ربها تحريا لليلة القدر وتقول: " اللهم إنك عفو تحب العفة فاعف عني." [صحيح: رواه الترمذي 3580 وقال حسن صحيح والحاكم في المستدرك 530/1 وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وصححه الألباني في مشكاة المصابيح 2091]

4-أعظم ما يدعى الله به، ويتوسل إليه به هي أسماؤه الحسنى.

[1] غافر، {60}.

[2] البقرة، {186}.

قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}[1].

ومن دعاء الطلب في القرآن:

قول الله تعالى: {رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}[2].

وقوله تعالى: {رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}[3].

وقوله تعالى: {قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي}[4]

وقوله تعالى: {رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}[5]

فضل الدعاء:

أولا: من كتاب الكريم:

قال-الله تعالى-: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}[6]

وقال –جل اسمه-: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}[1]، وقال –سبحانه-: {ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف: 56-55][2].

---

[1] الأعراف، {180}.

[2] البقرة، {286}.

[3] آل عمران، {8-9}.

[4] طه، {25-27}.

[5] الفرقان، {74}.

[6] سورة البقرة، {186}.

وإذا التفت إلى فاتحة كتاب الله –تعالى–وخاتمته بدا لك من أسرار التنزيل عجبا؛ فإن الله–سبحانه–افتتح كتابه الكريم بالدعاء في: "سورة الفاتحة": "دعاء الثناء": {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} و: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}.

واختتم –سبحانه–كتابه الكريم بالدعاء في: "سورتي المعوذتين": "دعاء مسألة" متضمنا:" دعاء الثناء"[3].

ثانيا من السنة النبوية:

1–عن أبي هريرة –رضي الله عنه–عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ليس شيء أكرم على الله من الدعاء).

2–عن أبي هريرة –رضي الله عنه–قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لم يسأل الله يغضب عليه).

3–وعن أبي سعيد –رضي الله عنه–أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها" قالوا: إذا نكثر. قال: "الله أكبر".

4–وعن سلمان الفارسي–رضي الله عنه–قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن ربكم تبارك وتعالى حي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا).

5–عن ابن عامر–رضي الله عنه–عن النبي صلى الله عليه وسلم:" لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا الدعاء"[4].

---

[1]غافر، {60}.

[2]خالد بن سليمان الربعي، من عجائب الدعاء، دار قاسم للنشر، ط1، المملكة العربية السعودية، 2002، ص7.

[3]بكر بن عبد الله بوزيد، المرجع نفسه، ص 16.

[4]خالد بن سليمان الربعي، المرجع نفسه، ص 7-8.

وعن عباس-رضي الله عنهما-أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" أفضل العبادة الدعاء" رواه الحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي-رحمهما الله تعالى-.

وعن نعمان بن بشير-رضي الله عنهما-عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" الدعاء هو العبادة" ثم قرأ: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}[1]. رواه أصحاب السنن الأربع[2].

أهمية الدعاء في حياة المسلم:

ولكون الدعاء هو العبادة التي خلقنا من أجلها، صارت له مكانة عظيمة ومنزلة سامية ودرجة رفيعة، وهذه المكانة يمكن إيجازها في الأوجه التالية:

إن الدعاء درجة سامية، ومنزلة رفيعة، وأهمية كبرى، إذا الدعاء هو العبادة، فقد صح الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم بأن الدعاء هو العبادة بصيغة الحصر ولا يخفى مكانة العبادة فقد خلقنا الله تعالى من العدم لعبادته. وقد افتتح الله القرآن بالدعاء واختتمه به، فصورة الفاتحة مشتملة على الدعاء الثناء كما هي مشتملة على المسألة إذ الدعاء فيها بأجل المطالب وأفضل الرغائب، وهو طلب الإعانة على مرضاة الله والمعوذتان في طلب العبادة الذي هو أحد أنواع دعاء المسألة.

"قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

[1]غافر، {60}.

[2]بكر بن عبد الله بوزيد، المرجع نفسه، ص 16.

وأما سورة الإخلاص والمعوذتان، ففي الإخلاص الثناء على الله تعالى وفي المعوذتين دعاء العبد ربه ليعيذه، والثناء مقرون بالدعاء، كما قرن بينهما في أم القرآن المقسومة بين الرب والعبد نصفها ثناء للرب ونصفها دعاء للعبد."

وقد ختم المصحف بحقيقة الإيمان، وهو ذكر الله دعاؤه كما بنيت عليه أم القرآن، فإن حقيقة الإنسان المعنوية هو المنطق، والمنطق قسمان: خبر، وإنشاء، وأفضل الخبر وأنفعه وأوجبه ما كان خبرا عن الله كنصف الفاتحة وسورة الإخلاص، وأفضل الإنشاء الذي هو الطلب، وأنفعه وأوجبه، ما كان طلبا من الله كالنصف الثاني من الفاتحة والمعوذتين"[1].

قال القرطبي:

قال بعض العلماء: فجعل الله جل وعز عظم الدعاء وجملته موضوعا في هذه السورة، نصفها فيه مجمع الثناء، ونصفها فيه مجمع الحاجات، وجعل هذا الدعاء الذي في هذه السورة أفضل من الذي يدعو به [الداعي] لأن هذا الكلام قد تكلم به رب العالمين، فأنت تدعو بدعاء هو كلامه الذي تكلم به؛ وفي الحديث: "ليس شيء أكرم على الله من الدعاء". وقيل المعنى: أرشدنا باستعمال السنن في أداء فرائضك؛ وقيل: الأصل فيه الإمالة؛ ومنه قوله تعالى: {إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ}[2] أي ملنا؛ وخرج عليه السلام في مرضه يتهادى بين اثنين، أي يتمايل[3].

---

[1] نور زمان مدني، الصورة البلاغية في الأدعية القرآنية، أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، قسم الدراسات العليا، باكستان، 2011م، ص 70.

[2] الأعراف، {156}.

[3] أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج/1، دار الكتب المصرية، مصر، ط2، 1952، ص148.

فتبين مما سبق مدى عناية القرآن الكريم بالدعاء وافتتاحه به واختتامه به وهذا دليل واضح على منزلة الدعاء ومكانته.

كان الدعاء في الجاهلية. كجميع العبادات والطاعات. مهملا مضاعا، وإذا كان في شكل ما، فكان حظ الآلهة الكثيرة، فلما جاء الإسلام أعاد مكانته وقيمته وبهاءه ورونقه، وأعطاه حقه من الإخلاص والضراعة والخشوع، وخصه بالله العلي الكبير فاطر السماوات والأرض، وحث عليه القرآن في الآيات الكثيرة ونبي الإسلام في الأحاديث الكثيرة. من أراد أن يستجيب له عند الشدائد والكرب فليكثر من الدعاء في الرخاء وليكثر الصلاة على النبي، وترجع أهمية الدعاء بالنسبة المسلم إلى كونه وسيلة لجلب رحمة الله في الشدائد واستجابة ربه لدعواته، والتعرف إليه في حال الرخاء، ففي الحديث الشريف: "تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة" "ولأن الدعاء هو العبادة مثل كل العبادات المأمور بها، حيث أمرنا الله في قوله: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}"[1].

"فالدعاء مفتاح الرحمة فمن سره أن يستجيب الله دعاءه عند الشدائد فليكثر من الدعاء في الرخاء وليكثر من الصلاة على النبي فإن الله يكفيه من أمر دنياه وآخرته"[2].

آداب الدعاء:

إن للدعاء آداب يحسن توافرها كي يكون الدعاء على الوجه المطلوب، فيرجى قبوله.

[1] غافر، {60}.

[2] نور زمان مدني، الصورة البلاغية في الادعية القرآنية، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها قسم الدراسات العليا في الجامعة الوطنية للغات الحديثة، باكستان، 2011، ص 71.

قال الطرطوشي: "اعلموا أرشدكم الله أن للدعاء آدابا مشروعة وشروطا مفروضة، فمن وفى وفي له ومن لزم تلك السيرة على شروط الأدب أوشك نيل ما سأل. ومن أخل بالآداب استحق ثلاثة خلال: المقت والبعد والحرمان" فمن آداب الدعاء ما يلي[1]:

[1] الثناء على الله قبل الدعاء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: فعن فضالة بن عبيد قال: "بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد إذ دخل رجل، فصلى فقال: اللهم اغفر لي، وارحمني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عجلت أيها المصلي، إذ صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله، وصل علس ثم ادعه). ثم صلى رجل آخر بعد ذلك، فحمد الله، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (أيها المصلي ادع تجب) ". وقال-عليه الصلاة والسلام-: (كل دعاء محجوب، حتى يصلى على النبي). وهكذا دعاء ذي النون عليه السلام قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم (دعوة أخي ذي النون، ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربته): (لا إله إلا أنت، سبحانك إن كنت من الظالمين) وفي الترمذي (دعوة أخي ذي النون إذا دعا وهو في بطن الحوت) لا إله إلا أنت، سبحانك إني كنت من الظالمين) فإنه لم يدع بها مسلم قط إلا استجاب له).

وهكذا عامة الأدعية النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام، فالدعاء الذي تقدمه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه كان أبلغ في الإجابة وأفضل.

[1] سعود بن محمد بن حمود العقيلي، الاعتداء في الدعاء صور وضوابط ونماذج من الدعاء الصحيح، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 2010، ص24-31.

[2] الإقرار بالذنب والاعتراف بالخطيئة: وهذا واضح بين في سيد الاستغفار. قال شيخ الإسلام: "المعارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنة والمطالعة عيب النفس والعمل. وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)" فجمع في قوله صلى الله عليه وسلم (أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي) مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل.

فمشاهدة المنة توجب له المحبة والحمد والشكر لولي النعم والإحسان، ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت، وألا يرى نفسه إلا مفلسا، وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاس فلا يرى لنفسه حالا ولا مقاما ولا سببا يتعلق به ولا وسيلة منه يمن بها، ل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف، والإفلاس المحض، دخول من كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه. فانصدع وشملته الكسرة من كل جهاته، وشهد ضرورته إلى ربه عز وجل، وكمال فاقته وفقره إليه. فإن كل داع هذا حاله لحري أن يستجاب له.

[3] تقديم العمل الصالح قبل الدعاء: قال تعالى: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ}[1]

أي: إذا فرغت من صلاتك فاجهد نفسك بالدعاء وسله حاجتك.

[1] الشرح، {7-8}.

وقال عبد الله بن عمر (إذا أردت أن تدعو فقدم صدقة أو صلاة أو خيرا ثم ادع بما شئت) وهذا من آداب الدعاء أن يقدم بين يدي نجواه صدقة.

[4] الإلحاح والتكرار وعدم الضجر والملل: ويحصل الإلحاح بتكرار الدعاء مرتين وثلاثا وأكثر للحديث حيث ورد ما يدل على تكريره صلى الله عليه وسلم للدعاء ثلاث مرات. فقد روى ابن مسعود رضي الله عنه أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه أن يدعو ثلاثا ويستغفر ثلاثا.

ووقع في حديث عائشة رضي الله عنها في قصة سحره صلى الله عليه وسلم: (فدعا ثم دعا ثم دعا).

[5] الدعاء في الرخاء والإكثار منه في وقت اليسر والسعة: إن من شأن العبد الصالح أن يلازم الدعاء في حالتي الرخاء والشدة، وأما غير الصالح فإنه لا يلتجئ إلى الله تعالى إلا في وقت الشدة ثم ينساه، وهذا شأن أكثر الناس إلا من عصمه الله، فقد ذكر الله تعالى هذه الطبيعة البشرية في عدة آيات من كتابه العزيزا قال تعالى: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ}[1].

وقال عز من قائل: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ}[2].

[1] يونس، {12}.

[2] الزمر، {8}.

وقال جل جلاله: {فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ}[1].

وقال تبارك وتعالى: {وإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ}[2].

فقد بين الله في هذه الآيات وأمثالها طبيعة ابن آدم في الالتجاء إلى الله في الشدائد ونسيانه في الرخاء. كما بين في آيات أخر مثالا واقعيا من تلك الطبيعة البشرية فذكر حالة الذين تضطرب بهم السفن وتتلاطم بهم الأمواج وأنهم يخلصون في هذه الحالة.

قال تعالى: {وإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا}[3].

وقال تعالى: {وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ}[4].

والذي ينبغي أن يكون عليه المسلم أن يلازم الدعاء في الرخاء والشدة وذلك أسرع في إجابة دعائه، كما ورد في حديث ابن عباس المشهور: (تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة).

والمراد بالمعرفة المطلوبة من العبد في الحديث هي "المعرفة الخاصة التي تقتضي ميل القلب إلى الله بالكلية والانقطاع إليه والأنس به والطمأنينة بذكره والحياء منه والهيبة له"، ومن المعرفة أيضا إخلاص الدعاء له في

[1] الزمر، {49}.
[2] فصلت، {51}.
[3] الإسراء، {67}.
[4] لقمان، {32}.

حالة الرخاء، وكذلك المراد بمعرفة الله لعبده هو المعرفة الخاصة التي تقتضي محبته لعبده وتقريبه إليه وإجابته لدعائه وإنجاءه من الشدائد وهي المشار إليها بقوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه: (ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه وفي رواية ولئن دعاني لأجيبنه).

وفي الجملة فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه عامله الله باللطف والإعانة في حال شدته.

ومن الأحاديث الدالة على سرعة إجابة دعاء من يلازم الدعاء في الرخاء ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه مرفوعا: (من سره أن يستجب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء).

[6] استقبال القبلة: وذك لأن القبلة هي الجهة الفاضلة التي ينبغي أن يتجه إليها في العبادات وهي أيضا قبلة للدعاء كما أنها قبلة للصلوات. وقد ورد في ذلك عدة أحاديث من ذلك حديث ابن مسعود رضي الله عنه في إلقاء قريش الأذى على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي وفيه: (استقبل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة فدعا على نفر من قريش).

وحديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه في الاستسقاء قال: (إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى المصلى يصلي وإنه لما دعا أو أرادا أن يدعو استقبل القبلة وحول رداءه).

[7] الطهارة: وهذا من الآداب التي ينبغي للداعي أن يتصف بها فاللائق بمن يريد خطاب الله ومناجاته أن يكون على أحسن الأحوال ومن ذلك الطهارة الظاهرة بالوضوء والطهارة الباطنة بالتوبة والاستغفار حتى يكون مؤهلا لخطاب الله تعالى ومناجاته.

وقد ورد ما يدل على استحباب الوضوء للدعاء في حديث أبي موسى الأشعري في قصة استشهاد أبي عامر وطلبه من النبي صلى الله عليه وسلم الاستغفار فلما وصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفاته وطلبه منه الاستغفار دعا بماء فتوضأ ثم دعا له.

[8] السواك: ووجه ذلك أن الدعاء عبادة باللسان، فتنظيف الفم عند ذلك أدب حسن، ولهذا جاءت السنة المتواترة بمشروعية السواك للصلاة، والعلة في ذلك تنظيف المحل الذي يكون الذكر به في الصلاة.

[9] رفع اليدين: قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: (دعا النبي صلى الله عليه وسلم ثم رفع يديه، ورأيت بياض إبطيه).

وقال ابن عمر رضي الله عنه: (رفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه، وقال: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد).

وعن سليمان الفارسي رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: (إن ربكم-تبارك وتعالى-حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا خائبتين).

[10] الطموح وعلو الهمة: فمن الآداب التي يحسن بالداعي أن يتحلى بها-أن يكون طموحا، ذا نفس كبيرة، وهمة عالية، راغبا فيما عنده الله من عظيم الثواب. لقوله صلى الله عليه وسلم: (ليعزم المسألة وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه).

الفصل الأول:

بلاغة الدعاء وجماليته

المبحث الأول: السمات البلاغية للدعاء.

بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم.

تحتل البلاغة النبوية الذروة العليا من البيان في الأدب العربي[1]، قد قال أوس بن حبيب الضبي العالم بالأدب وإمام نحاة البصرة في عصره ... ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]، ولكن هذه البلاغة تبقى في حدود البيان الإنساني أو بلاغة البشر، ولا تصل كما نرى طبيعة الحال إلى درجة البيان القرآني الذي بلغ حد الإعجاز، وقد سئل الباقلاني بقوله: هل كلام النبي معجز؟ وأجاب بقوله: إن هناك فرقا بين القرآن وكلام النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان النبي أفصح العرب، والفرق بينهما هو الفرق بين كلام الله، وكلام البشر[3].

فالبلاغة النبوية في أعلى طبقات البلاغة الإنسانية، وبلاغة النبي تقع على القنطرة الواصلة بين إعجاز القرآن وبلاغة البلغاء، ويقول الأستاذ عباس محمود العقاد: "كان محمد صلى الله عليه وسلم فصيح اللغة، فصيح اللسان، فصيح الأداء، كان فصيحا مبلغا على أسس ما تكون بلاغة الكرامة والكفاية، وكان بلسانه وفؤاده من المرسلين"[4].

فكلامه صلى الله عليه وسلم على جهة الصناعة اللغوية والبيانية مسدد اللفظ محكم الوضع، جزل واضح الصلة بين اللفظ ومعناه وضريبه في التأليف والتنسيق، ثم لا ترى فيه خرما مضطربا

---

[1]خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط 5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980، ج 8، ص 261، 1969م، نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ج 2، ص 17.

[2]أبو عثمان بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، 1969م، نشر الهيئة العامة للتأليف والنشر، ص17.

[3]عدنان زرزور، بلاغة النبي، بحث منشور في مجلة مركز البحوث الستة والسيرة، العدد 5، ص 235.

[4]عباس محمود العقاد، عبقرية محمد، تحقيق دار الكتاب العربي، طبعة جديدة منقحة ومراجعة، 1969م، ص 291.

ولا لفظة مستدعاة لمعناها، أو مستكرهة عليه، ولا كلمة غيرها أتم منها أداءً للمعنى وتأتياً لسره في الاستعمال، وهذا نراه في الصناعة اللغوية، أما من ناحية الصناعة البيانية حسن المعرض بين الجملة، واضح التفضيل، بديع الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان"[1]، ظاهر الحدود، جيد الرصف، متمكن المعنى، واسع الحيلة في تصريف، ثم لا ترى فيه إحالة ولا استكراه، ولا ترى استعانة من عجز ولا توسعا من ضيق، ولا ضعفاً في وجه من الوجوه وغيرها من سمو المعنى، وفصل الخطاب، وحكمة القول، ودنو المأخذ، وإصابة السر.

وهذا ما وضحه أوس بن حبيب في قوله عن النبي، والذي أخذ عنه الجاحظ في حديثه عن السمات البلاغية النبوية، ونقل كلمة أوس دلالة واستشهادا في معرض حديثه عن بعض فنون الكلام عن رسول الله صلى عليه وسلم، فقال الجاحظ في هذا الفن من كلام النبي صلى الله عليه وسلم هو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثرت معانيه وجل عن الصنعة ونزه عن التكليف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم قل يا محمد {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ}[2]. فكيف وقد عاب التشديق.

واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق.

وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، بين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام مع استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السامع إلى معاودته.

[1] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 2001م، ص324.
[2] سورة ص، {82}.

لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب بل يعبر الخطب الطوال عنها بالكلم القصار، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفوز إلا بالحق ... ولا يسهب ولا يحصر[1].

ويضيف الجاحظ، ثم لا يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ولا أقصد لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين فحوى من كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

ونرى في كلام الجاحظ أنه تحدث عن سمتين من سمات النبي صلى الله عليه وسلم البلاغية (الأولى) قلة الحروف، والكلمات، وكثرة المعاني، وهي السمة المعبر عنها بجوامع الكلم، والسمة الثانية تنزه البلاغة النبوية عن الصنعة والتكلف.

وقد ذكر الجاحظ الكثير الكثير من الكلام النبوي الذي يدل على ما ذهب[2] إليه في وصف البلاغة النبوية منها:

1-" اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول (أخرجه الشيخان من حديث حكيم بن حزام).
2-وقوله صلى الله عليه وسلم: " يقول ابن آدم مالي مالي، إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو ما تصدقت فأمضيت "(أخرجه مسلم والترمذي والنسائي والإمام أحمد).

[1]عدنان زرزور، سمات البلاغة النبوية بين الجاحظ والرافعي والعقاد، الأستاذ بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية الشريعة، جامعة قطر، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، العدد الخامس، 1991م، ص 237.
[2]أبو عثمان بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 17-18.

ويقول الرافعي في النسق البلاغي للنبي صلى الله عليه وسلم: إنك إذا نظرت إلى كلام النبي من جهة الصنعة اللغوية رأيته مسدد اللفظ محكم الوضع، جزل التركيب متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات، فحم الجملة واضح الصلة بين اللفظ ومعناه، واللفظ وخبرته في التأليف والنسق ...".

وإذا نظرت في الجهة البيانية رأيته "حسن المعرض بين الجملة، واضح التفصيل ظاهر الحدود، جيد الوصف متمكن المعنى، واسع الحيلة في تصريفه بديع الإشارة، غريب اللمحة، لا نرى فيه غريب ولا استكراه.

ويقول الرافعي أن النبي سلمت له جهات ثلاثة: الحكمة واللغة والبيان "مرة واحدة، ثم جاءت على أتمها وأكملها[1].

وهذه السمة تلخص تحت سمة الكمال والإبداع، وتضاف إلى السمتين اللتين دار حولهما كلام الجاحظ، وخاصة سمة التنزه عن الصنعة، والتكلف في الوقت الذي تحدث فيه الرافعي في ختام الجزء الذي عقده للبلاغة النبوية عن الخلوص والقصد والاستيفاء" وقال، أن نسق البلاغة النبوية مبني على هذه الثلاث.

1-**فالخلوص**: يكون في اللغة والأسلوب، وأن النبي منفرد فيها جميعا لأنه لم يكن في العرب، ولن يكون فيمن بعدهم أبد الدهر من ينفذ في اللغة وأسرارها وضعاً وتركيباً، يستبعد اللفظ الحر ويحيط بالعتيق من الكلام، ويبلغ في ذلك إلى الصميم على ما كان من شأنه صلى الله عليه وسلم، ولا يتهيأ له الأسلوب العصبي الجامع المجتمع على توثيق السرد وكمال الملاءمة، كما تراه في الكلام النبوي.

2-**القصد والإيجاز والاقتصار**: على ما هو من طبيعة المعنى في ألفاظه، ومن طبيعة الألفاظ ومعانيها، وطبيعة النفس في حظها من الكلام جهتيه اللفظية، والمعنوية فذلك بما امتازت به البلاغة النبوية.

[1] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب،225/2، القاهرة، ط 3، مطبعة الاستقامة، 1953م، ج2، ص 325.

3-**الإستيفاء**: وهو الذي يخرج به الكلام مبسوط المعنى، ليس فيه إحالة أو إضراب[1].

ويرى العقاد أن السمة الغالبة على أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم هي سمة الإبلاغ فالسمة الأساسية للبلاغة النبوية هي سمة الإبلاغ حيث وقف العقاد على هذه السمة من خلال خطبة الوداع للنبي، التي كانت أول إعلان عالمي لحقوق الإنسان في التاريخ، وقوله: " ألا هل بلغت ...اللهم فاشهد " والحق أن هذه العبارة اللازمة لازمة بعيدة الدلالة، لأنها لخصت حياة كاملة في ألفاظ معدودات ولم تكن حياة النبي قولا وعملا إلا ترجمة صادقة لقوله تبارك وتعالى[2]: {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ}[3].

ويقول العقاد: "كلام النبي المحفوظ بين أيدينا إما معاهدات ورسائل كتبت في حينها، وإما خطب، وأدعية ووصايا وأجوبة عن أسئلة كتبت بعد حينها، وقال العقاد معقبا على ما سبق ملخصا بلاغة النبي المتمثلة في:

1-خلو الكلام من الكلفة والإغراب.
2-خلو كلام النبي من الحشو والتكرار والزيادة.
3-اجتماع المعاني الكبار في الكلمات القصار في قوله " أوتيت جوامع الكلم " ثلاث كلمات عبرت عن علوم اللغة واشتملت عليه.

[1] مصطفى صادق الرافعي، المرجع نفسه، ص 338.
[2] عباس محمود العقاد، المرجع نفسه، ص 105.
[3] سورة النور، {54}.

والرسول صلى الله عليه وسلم كان يكره الإطالة، والاندفاع في الكلام، وقد تكلم عنده رجل فأطال فقال له النبي كم دون لسانك من حجاب؟ فقال شفتاي، وأسناني، فقال إن الله يكره الإنبعاق ... والإنبعاق هو الاندفاع في الكلام[1].

البلاغة في الدعاء:

امتازت أدعية الأنبياء بالبلاغة والفصاحة واختيار أوجز الألفاظ وأغزر المعاني، وحتى يقال إن الكلام بليغ، لا بد أن يجتهد في المعنى والمبنى، بحيث يؤدي الكلام دونما إطناب أو تطويل في الكلام مع مراعاة ما يتطلبه الحال أو الواقع.

والناظر في دعاء الأنبياء، يجد بعد التدبر، أدعيتهم تميزت بالبلاغة والفصاحة والنطق بالحكمة، سواء أكان من حيث المعنى أو المبنى مع مراعاتهم للأحوال، فيناسب مقالهم المقام، فقد تخيروا لدعائهم ألطف المعاني وأرتبها، وأحسن الألفاظ وأنبلها، فأوجزوا بالدعاء ولم يطيلوا [2]لعبارة فيختل المعنى، فكل كلمة تناسقت مع صاحبتها، ليؤدي فيها المعنى المراد، كيف لا يكونوا كذلك، " والحكمة أيضا جعلها الله صفة لأنبيائه جميعا، امتدحهم {بها وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ}[3] ومصداقا لهذا النص القرآني، فإننا نلمس ومن خلال تدبر آيات دعاء الأنبياء البلاغة والبيان من خلال أمور ثلاثة:[4]

1-إختيار الكلمة في ذاتها.

[1]إسماعيل نواهضة، بلاغة النبي، عميد كلية القرآن والدراسات الإسلامية، فلسطين، مجلة الإسراء، العدد السادس، جمادى الأولى 1148هـ، ص 11.

[2]محجوب عباس، الحكمة والحوار علاقة تبادلية، عمان، ط1، إربد: جدار للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديثة.2006م، ص 15.

[3]آل عمران، {81}.

[4]عبد الحميد مصطفى شعبان، المناسبة في القرآن دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسياق اللغوي، ط1، 2007م، ص30.

2-اختيار الوظيفة التي تؤديها.

3-اختيار الموقع المناسب لها لتقوم به بأداء وظيفتها.

ومن هذه اللمسات البيانية سنذكر على سبيل المثال البلاغة في دعاء إبراهيم-عليه السلام-في سورة البقرة: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ}[1] ودعائه في صورة إبراهيم: {رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ}[2].

إن دعوة إبراهيم الأولى " بلدا آمنا "، وقعت ولم يكن المكان قد جعل بلدا، بدليل قوله تعالى على لسان إبراهيم –عليه السلام- {رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ}[3].أما الدعوة الثانية، فقد وقعت بعد أن جعله الله بلدا وصيره[4].

كما أن اسم الإشارة في سورة البقرة، إشارة إلى الواد المذكور في قوله {بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ}، قبل بناء الكعبة، وفي سورة إبراهيم، إشارة إلى البلد [5]بعد الكعبة.

أما صاحب مفاتيح الغيب، فقد ذهب إلى أن تنكير لفظ "بلد" إنما هو للمبالغة، وقال إن التنكير يدل على المبالغة فقوله {رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا} معناه اجعله من البلدان الكاملة في الأمن ".

ويلمح تعبير بليغ ودقيق في وصف إبراهيم-عليه السلام-هذا المكان، بأنه "واد غير ذي زرع "، لم يقل " غير مزروع " نستنتج أن:

---

[1]البقرة، {126}.

[2]إبراهيم، {35}.

[3]إبراهيم، {37}.

[4]أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001م، ص.455

[5]الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م، ص 105.

1-العبارة الثانية تفيد نفي كون الواد مزروعا، أي نفيا للحال، غير أن التعبير القرآني، يفيد عدم إمكانية زرعه.

2-كما أن حرف الباء في قوله " بواد، ولم يقل في واد، فإن وجود حرف الباء إنما ليدل على التصاق هذه الذرية الكريمة، بهذا الوادي المبارك.

3-وأما سر اختيار كلمة" زرع" وعدم اختياره كلمة "ثمر" أو "غرس"، فإن لها دلالة عميقة، لما تحمل هذه الكلمة من معنى، فقد جاء في لسان العرب أن الزرع يغلب عليه البر والشعير ...وقيل الزرع طرح البذور " أما كلمة " الغرس" فهي الشجر الذي يغرس[1].

وعلى ذلك، حين وصف إبراهيم –عليه السلام-الوادي أنه غير ذي زرع، إنما ليدل أن هذا الوادي لا يمكن أن يكون بيئة خصبة للزرع بمعنى البذور التي تدفن في الأرض، لأن الأرض السوداء الجافة في المناطق الحارة، كجبال مكة، يستحيل أن يزرع فيها شيء من ذلك، ولأن الزرع يحتاج إلى تربة رطبة متماسكة تبذر فيها البذور، ثم تسقى فتنبت، ولعل إبراهيم –عليه السلام-أحس بجفاف الوادي، فغلبته مشاعر الأب الحاني، وأن أبناءه سيعانون من قسوة العيش، فرفع يديه ضارعا، ليدعوا بهذا الدعاء.

الخصائص البلاغية لدعاء الأنبياء:

بناء لغة دعاء الأنبياء:

أثار البلاغيون والنقاد قضية هامة تتصل باللغة هي قضية اللفظ والمعنى، وتنازعوا في أيهما أحق بالعناية وأجدر بالتقديم، اللفظ أم المعنى؟

[1]عودة، شواهد في الإعجاز القرآني دراسة لغوية ودلالية، ط1، عمان، دار عمار، 1998م، ص29.

ولهم في ذلك مذاهب مختلفة، منهم من فضل اللفظ ومنهم من فضل المعنى، ومنهم من توسط بين ذلك[1]

وهذه المذاهب تلخص الخلاف حول اللفظ والمعنى من جهة الفصاحة وأيهما أولى بذلك من الآخر، ولا شك أن الفصاحة لا ترجع إلى أحدهما دون الآخر، وإنما ترجع بالإضافة إلى ذلك إلى حسن نظم الكلام وجمال تأليفه، وقد أدرك الخطابي رحمه الله قيمة هذا النظم الذي يربط بين الألفاظ ومعانيها بقوله: (وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل ومعنى به قائم، ورباط بينها ناظم)[2].

ثم جاء عبد القاهر الجرجاني رحمه الله فعزز هذا الاتجاه حتى اكتملت على يديه نظرية النظم التي مناط الإعجاز البلاغي متوخيا في هذا النظم قواعد النحو ومعانيه، فلكل من الألفاظ والمعاني إذاً قيمتها التي تميزها، ولا تظهر هذه القيمة ولا يتجلى ما فيها من جمال وبهاء إلا إذا ارتبطت بسياق ينظمها.

والمتأمل في لغة دعاء الأنبياء يلمس الفصاحة والبيان وحسن الانسجام والتلاؤم، كما يدرك فيها إثارة عاطفية تبرز من خلال المشاهد الحية النابضة بالحياة، ومقدار ما تملكه من شحنة عاطفية على الوجدان والخيال.

ولعل أوامر ما يبرز لنا من ذلك الدقة في اختيار الألفاظ، فكل لفظة جاءت مستقرة في مكانها، مختارة لتؤدي من المعاني ما يفيض به قلب الداعي، فمن ذلك ما جاء في دعاء الخليل عليه السلام: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ}[3]. فإيثاره الفعل " ابعث " على ما سواه فيه دقة في الاختيار، فهو إضافة إلى دلالته على

[1] ضياء الدين ابن الأثير المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1995م، ص 82.

[2] أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي الحافظ، بيان إعجاز القرآن، دار المعارف القاهرة ط2، 1387هـ، ص 28.

[3] البقرة، {129}.

معنى الإرسال نجده يحمل معاني الإثارة والانبعاث والإيقاظ، وكل شيء بعثته فقد أثرته، والبعث من الله الإحياء، وهذه المعاني تتوافق مع مهمة الأنبياء[1].

فإيثاره الفعل " ابعث " على ما سواه فيه دقة في الاختيار، فهو إضافة إلى دلالته على معنى الإرسال نجده يحمل معاني الإثارة والانبعاث والإيقاظ، وكل شيء بعثته فقد أثرته، والبعث من الله الإحياء، وهذه المعاني تتوافق مع مهمة الأنبياء.

وتأمل لفظتي: " اطمس " و " أشدد" في دعاء موسى عليه السلام على فرعون وملئه بقوله: {رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ}[2]. فالكلمتان توحيان بالعنف والشدة في العقوبة، فالطمس: استئصال أثر الشيء، والشّدُّ: الاستحكام بقوة.

والإيقاع الذي يحدث هذان اللفظان عند النطق بهما له أثر كبير في تصوير وإثرائه في النفس، فاللفظان يجسمان ويصوران شدة دعائه على فرعون وملئه بأن يمحق الله أموالهم ويهلكها ويحكم الربط على قلوبهم فلا يدخلها الإيمان.

كما يلمس المتأمل في لغة دعاء الانبياء الدقة في وضع الألفاظ في موضعها فإذا نظرت في دعواتهم ودققت في مفردات ألفاظهم تجد دقة الوضع ظاهرة، ولا تحس فيها بكلمة تضيق بمكانها أو تنبو عن موضعها، والغاية من دقة الوضع هي الدقة في إيراد المعنى وتحديده، دون زيادة أو نقصان.

[1] عبد الرحمان بن رجاء الله السلمي، دعاء الأنبياء في القرآن الكريم، دراسة بلاغية تحليلية، مجلة العهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد العاشر، ذو الحجة، 1431هـ، ص65.

[2] يونس، {88}.

تأمل دعاء الخليل عليه السلام (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) حيث قدم الجار والمجرور "فيهم" على المفعول به (رسولا) لإرادة التخصيص ليكون المعنى أن تكون الرسالة فيهم لا في غيرهم.

وقوله: (منهم) قيد دقيق في وصف الرسول، لأن البعث (فيهم) لا يستلزم أن يكون البعث (منهم)، وتقييد الرسول بأن يكون منهم حتى، (يكون أشفق على قومه ويكونون هم أعزّ به وأشرف وأقرب للإجابة، لأنهم يعرفون منشأه وصدقه وأمانته)[1].

بلاغة التناسب في دعاء الأنبياء:

المناسبة في اللغة المشاكلة، يقال: بين الشيئين مناسبة وتناسب أي مشاكلة وتشاكل، وكذا قولهم: "ليس بينهما مناسبة أي مشاكلة ". ولا يختلف المعنى اللغوي للمناسبة عنه في الاصلاح، فالمناسبة في المعنى الاصلاحي تعني المقاربة أو المشاكلة بين المعاني الكلية الحاصلة من التأليف أو بين الألفاظ والسياقات التي ترد فيها من حيث الشكل أو المعنى، وبتعبير آخر: هي وضع الكلام في موضعه الذي يليق حتى يتمّ له الحسن والبلاغة. وفائدة هذه المناسبة " جعل أجزاء هذا الكلام بعضها آخذًاً بأعناق بعض، ويقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء[2].

ولهذا النوع من الإعجاز أهمية كبيرة في إدراك معاني القرآن وتدبر مقاصده وتذوق بلاغته والوقوف على أسراره ودقائقه. ولهذا قال الرازي رحمه الله: (أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط).[3]

[1] أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، تفسير البحر المحيط، المرجع نفسه، ص 563.

[2] بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ط1، 1957م، ص62.

[3] بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المرجع نفسه، ص36.

ورأى البقاعي رحمه الله أن هذا النوع من الإعجاز هو (سرّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني، لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادة على معرفة مقصود الصورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النّفاسة، وكانت نسبته من علم تفسير نسبة علم البيان إلى النحو[1].

ومن دقيق التناسب في دعاء الأنبياء: أن تجيء فاصلة الدعاء مناسبة لمضمونه، وهو ما يسمىّ" بتشابه الأطراف" أو" تناسب الأطراف " وهو من قبيل مراعاة النظير، ذلك (بأن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى.

ومن أمثلة ذلك دعاء الخليل عليه السلام {وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[2] ودعاء موسى عليه السلام :{ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ }[3]، ودعاء عيسى عليه السلام { وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ }[4]، ودعاء سليمان عليه السلام: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ}[5] {وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ}[6]، فكان آخر الدعاء مناسبا لأوله مستقرًا في مكانه مرتبطاً بمعناه وقد يختم الدعاء بألفاظ دقيقة تناسب السياق اللغوي للدعاء بحيث لو جيء بألفاظ أخرى غيرها لاختلّ المعنى وتغيّر، وقد لا تبدوا المناسبة واضحة جلية الا بعد تأمّل .

[1] الخطيب القزويني الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط4، 1998م، ص 323.
[2] البقرة، {128-129}.
[3] الأعراف، {155}.
[4] المائدة، {114}.
[5] ص، {35}.
[6] المؤمنون، {118}.

ومن ذلك دعاء إبراهيم عليه السلام: {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[1] فهذا الدعاء لم يختم بالمغفرة مع أنه ورد طلب المغفرة قبله، وذلك لأن مدار الطلب في الآية هو أن لا يجعلهم فتنة للذين كفروا، وهو محطّ الاهتمام كما هو واضح من السياق، وذلك يقتضي الختام بالعزة والحكمة كما هو ظاهر[2].

ومما يدلّ على أنّ مدار الطلب هو خوفهم من الفتنة ما نلاحظه من التجوز النسبة الإيقاعية حيث عدّى الفعل (تجعلنا) إلى ضميرهم المخبر عنه ب(فتنة) عن طريق المجاز العقلي، والمعنى: لا تجعلنا سبب فتنة أو موضع فتنة للذين كفروا، وسرُّ العدول إلى التجوز بسبب شدّة شعورهم بالخوف من الفتنة وذلك يقتضي الختام بالعزة والحكمة.

وربما احتاج الأمر إلى إمعان دقيق لمعرفة سرّ اختتام الدعاء بصفة معينة يتبادر إلى الذهن أنّ ختمها بغير ذلك أولى، ومن ذلك دعاء عيسى عليه السلام: {إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[3]. فنظم هذا الدعاء قد يظن أنه يقتضي أن تكون الفاصلة " الغفور الرحيم"، ولكن المتأمل يدرك أنه لا يغفر لمن استحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه فهو عزيز غالب وحكيم يضع الشيء في موضعه.

---

[1] الممتحنة، {5}.

[2] بدر الدين الزركشي، المرجع نفسه، ص89-90.

[3] المائدة، {118}.

والآية مبنية على التسليم لله –سبحانه وتعالى – وتفويض الأمر إليه، وليس التعريض بطلب المغفرة، ولو قيل: "إنّك أنت الغفور الرحيم "، لأوهم الدعاء بالمغفرة ولا يسوغ الدعاء بالمغفرة لمن مات على شركه، لأن الآية جاءت في سياق تبرئة عيسى عليه السلام من قول عظيم قالته طائفة من النصارى، ونسبته إلى عيسى عليه السلام من أنه طلب من الناس أن يتخذوه وأمه إلهين دون الله. إضافة إلى أن ختم الدعاء بالمغفرة والرحمة يناسب الشرط الثاني (إن تغفر لهم) ولا يكون له تعلق بالشرط الأول (إن تعذبهم) في حين أن ختمه ب (العزيز الحكيم) يناسب الشرطين معاً، فإن العذاب والمغفرة منوطان بالعزة والحكمة، والذي استحق العذاب لا يستطيع أن يغفر له إلا من كانت سلطته أعلى، وقوته أعظم، وعزته فوق كل شيء، ومن كان كذلك وجب أن يتصف بالحكمة التي يسندها العقل، فكان الختام ب (العزيز الحكيم) أليق بهذا المكان وأنسب[1].

ولا يفوت المتأمل في هذا التذييل أن يدرك فيه ملمحاً بلاغيّاً وهو ما يعرف ب "الاحتراس" وهو: (أن يؤتى به في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه)، وهو ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله بقوله هو: (أن يذكر لفظا ظاهره الدعاء بالخير والنفع وذلك بما في ضمنه مما يوهم الشر فيذكر فيه كلمة تزيل ذلك الوهم وتدفع ذلك الوهن).

ووجه الاحتراس –كما سبق – أنّه لا يغفر لمن استحقّ العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه فهو العزيز الذي لا يعلوا فوق سلطانه سلطان، ولا تحول قوة دون تعذيب من استحق العذاب من عباده، فإذا شاء أن يغفر لهم مع استحقاق العذاب فذلك مقتضى حكمته التي تضع كل شيء في موضعها، وليس

[1]أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، المرجع نفسه، ص 68.

لأحد الاعتراض عليه. وقد يخفى وجه الحكمة على بعض الناس فيتوهم – ظنّا –أنّه خلاف الأولى وليس كذلك، فكان في الوصف بالعزيز الحكيم احتراس حسن (لأن ترك عقاب الجاني قد يكون لعجز في القدرة أو لإهمال ينافي الحكمة فدفع توهم ذلك بذكرهما).

ومن بديع المناسبة في دعائهم: حسن الترتيب، فالألفاظ تتقدم في الكلام بحسب معانيها، وما يتداعى من تلك المعاني في العقل، ومن ذلك دعاء إبراهيم عليه السلام: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[1]. تأمل بلاغة التناسب في إيراد الصفات وحسن ترتيبها، فأول ما يقرع السمع هو تلاوة القرآن والتلفظ به، ثم بعد ذلك يكون تعلم معانيه وتدبر مدلولاته، كما قال تعالى: {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}[2]. فإذا حصل تعلّم القرآن انتقل إلى الصفة الأخيرة وهي التزكية.

أسرار التشابه والتنوع في دعاء الأنبياء:

المتشابه اللفظي في القرآن الكريم من الموضوعات التي شغلت عددًا كبيرًا من علماء التفسير والبيان فعكفوا على تدبر ما في القرآن، من ذلك، وبيان موجبات اختلاف التعبير بينها، وتوجيه معانيها ردّا على بعض مطاعن الملحدين الذين رأوا في المتشابه اللفظي في القرآن تكرارًا ينافي بلاغة القرآن ويناقض إعجازه.

وتتفق تعريفات البلاغيين على أنّ المتشابه اللفظي من آيات القرآن هو: أن يتكرر مجيء الآيات القرآنية في ألفاظ متشابهة وصوراً متعددة وفواصل مختلفة مع اتحاد المعنى لغرض بلاغي.

[1] البقرة، {129}.
[2] القيامة، {18-19}.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في سياق دعاء نوح عليه السلام على قومه وطلب النصرة من ربّه حيث تعددت صيغ دعائه عليه السلام، فمن ذلك قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ}[1] وقوله تعالى {فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ}[2] وقوله تعالى {وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا}[3] فهذه الدعوات تتشابه في كثير من أجزاء النظم، وقد وقع فيها إبدال وتغير. ففي "سورة المؤمنون" جاء الدعاء بلفظ {رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ}[4]. وهو متناسب مع موقف قومه الوارد في السورة ذاتها حيث لم يسبق تصريح من قومه[5] بإهانته أو التضييق عليه أو إيذائه، وغاية ما ورد من مجابهته قولهم: {فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ}[6]. وهذا اقتضى أن يقتصر على طلب النصرة من ربه والغلبة مع الانتقام وهذا مستفاد من قوله (فانتصر) أي بمعنى: انتقم.

وزيادة بعض الحروف في لفظ (فانتصر) يقابلها زيادة في المعنى، كما أنّ التعبير بأنّه (مغلوبٌ) وصف لضعفه ومدعاة لطلب النصرة وسرعة الانتقام.

وهذه الألفاظ جاءت متوافقة مع موقفهم الذي جاء في سورة القمر حيث جابهوه بالعناد ووصموه بالجنون وزجروه وعنفوه كما قال تعالى واصفا حال قومه: { فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِر}[7]، وأما دعاء نوح عليه السلام الوارد في سورة نوح فهو أعنف دعواته وأشدها، إذ طلب من ربه تعالى أن ينزل عليهم الهلاك والعذاب بعد أن اجتهد في دعوتهم وبذل لهم جميع الوسائل فما زادهم ذلك إلا عناداً وكفراً

[1] المؤمنون، {26}.
[2] القمر، {10}.
[3] نوح، {26}.
[4] المؤمنون، {26}.
[5] بدر الدين الزركشي، المرجع نفسه، ص 135.
[6] المؤمنون، {25}.
[7] القمر، {9}.

وجعلهم يتواصون بالعكوف على أصنامهم كل ذلك جعله يدعوا عليهم دعاءً يتوافق وموقفهم الوارد في صدر السورة وجاء مناسباً لسياق الآيات .

وهكذا نلمس سرّ التباين والاختلاف في دعاء نوح عليه السلام في المواضع الثلاثة من قصّته.

وقد تشابه دعاء نوح عليه السلام بقوله: {وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا}[1] مع دعائه في آخر السورة {وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا}[2]، اختلاف الفاصلة بين الدعاءين، وقد جاء الدعاء في الآيتين مناسباً لموضعه وسياقه.

وعند النظر إلى نظم الآية الأولى نجد أنها جاءت بزيادة الضلال الذي هو العدول عن الطريق المستقيم وعدم الهداية، وذلك أنّ نوحاً عليه السلام بذل كل ما في وسعه في سبيل دعوتهم، فلم يزدهم ذلك إلا عدولاً عن الطريق ونسوكا عن الهداية، ثم دعا عليهم أن يزيدهم الله ضلالاً بسبب ضلالهم وإضلالهم بعد أن أمروا أتباعهم بالتمسك بعبادة الأصنام وأضلوا الناس عن الهداية، لما قالوا (لا تذرون ءالهتكم ولا تذرون ودّاً ولا سواعا)، وأنهم قد (أضلوا كثيرا)، فناسب الدعاء[3].

(ولا تزد الظالمين إلاّ ضلالا).

وأما الدعاء (ولا تزد الظالمين إلاّ تبارا)، فإنّ معناه زدهم هلاكاً على هلاك وعذاباً فوق عذاب بعد أن دعا عليهم بالهلاك بقوله: (لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا).

[1] نوح، {24}.
[2] نوح، {28}.
[3] عبد الرحمان بن رجاء الله السلمي، المرجع نفسه، ص274.

وهذا هو سرّ التنوع في الدعاء عليهم، وهو خلاصة ما أجاب به ابن الزبير الغرناطي إذ قال: (لسائل أن يسأل عن وجه اختلاف ما دعا به نوح عليه السلام على قومه في الموضعين؟ والجواب على ذلك أنّ نوحا عليه السلام لما ذكر أولاً في إخبار الله سبحانه – عن عصيان قومه له، وقولهم: {لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ}[1] أي لا تتركوها: {وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا}[2] إلى قوله {وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا}[3] أردف هذا بما يناسبه من الدعاء في زيادة ضلالهم ولم يدع هنا بهلاكهم. وأماّ الآية الثانية فقد تقدمها دعاؤه عليه السلام بهلاكم وأخذهم في قوله: {لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا}[4] فاتبع ذلك بما يناسبه تعالى {وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا}[5] أي هلاكا.

ومن متشابه دعاء الأنبياء ما جاء على لسان أيوب عليه السلام حيث ورد دعاؤه في سورتين هما الأنبياء و(ص)، ووقع بين الدعاءين فروق بإبدال لفظة مكان أخرى.

ففي سورة الأنبياء جاء إخبار الله تعالى عنه بقوله: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}[6].

[1] نوح، {23}.
[2] نوح، {23}.
[3] نوح، {24}.
[4] نوح، {26}.
[5] نوح، {28}.
[6] الأنبياء، {83-84}.

وفي سورة (ص) أخبر عنه –سبحانه – بقوله[1]: {وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ}[2]

والمتأمل في هذين الدعائين يلحظ التشابه بينهما مع ورود بعض الاختلاف في الدعاء، ومن ذلك اختلاف نداء أيوب عليه السلام في نسبة المس الذي أصابه إلى فاعله، ففي سورة الأنبياء {أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ} في (ص): {أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ}، وفي كلا التعبيرين حسن أدب مع الله تبارك وتعالى حيث لم ينسب الضرّ إلى ربه مع أنّ الله هو فاعل ما أصابه، ومر ذلك الاختلاف في كلّ موضع إلى سياق الآيات من السورة، ففي سورة الأنبياء كان الإخبار عمّا أصابه من ابتلاء مسوقاً على سبيل الايجاز والاختصار.

وسورة الأنبياء جاءت مبنية على الحرص على إيراد موضع النعمة من الله تعالى على أنبيائه بنصرتهم وإغداق الرحمة عليهم بعد استعانتهم به ودعائهم له عندما يصيبهم البلاء، ولهذا جاءت دعوة أيوب عليه السلام في الأنبياء بعدم الإفصاح عمّا أصابه من البلاء وذكره مجهلا من دون تصريح فقال (مسّني الضر). أي مطلق الضرّ.

وأما في (ص)، فقد أسند المس إلى الشيطان وذلك، لأنّ السورة بكاملها جاءت في بيان صبر الأنبياء على ما يصيبهم من فتن، وبيان أنهم توابون أوّابون لربهم.

[1] ابن الزبير الغرطاني، ملاك التأويل، دار الغرب الإسلامي ط1، عام 1983م، ص912.
[2] سورة ص، {41}.

فكان ذلك مدعاة لشيء من بيان ما أصاب عليه السلام من البلاء والامتحان، وتصوير بلائه ونسبة ما أصابه إلى الشيطان أليق والصبر على أذى الشيطان أعلى من الصبر على الضُّرّ الذي هو الضرير في النفس من مرض أو هزال. والله سبحانه وتعالى أعلم بذلك[1].

وقد تميز متشابه القرآن في دعاء الأنبياء بميزات أسلوبية تتمثل في ملاءمة المفردة لسياقها الواردة فيها، بما لها من دقيق المعاني وخفي الإشارات.

وقد اقتضى تنوع أدعية الأنبياء في القرآن تنوع الأسلوب تبعاً لاقتضاء مقام الخطاب، كما جاء هذا التنوع زاخراً بجماليات النظم والبيان. وهو وارد على أن يقتضيه المقام دون تناقض أو اضطراب.

دعاء الأنبياء في القرآن الكريم متميز في بنائه المحكم وصياغته الدقيقة وهي تمثل السمات العامة لأسلوب القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الدعاء ومسألة الاقتباس.

الاقتباس مصطلح معروف في الدرس البلاغي العربي، فالاقتباس يعني بصورة مختصرة أخذ الشاعر أو الناثر نصا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف ليوضع في شعر الشاعر أو نثر الناثر.

مصطلح الاقتباس عند البلاغيين:

[1]عبد الغني الراجحي، متشابه النظم في قصص الأنبياء، مقارنة وتحليل، رسالة دكتورا، رقم 76، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، القاهرة، ص414.

أن يضمّن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث، لا على أنّه منه، والكلام هنا يشمل المنظوم والمنثور[1]. ومنهم من قصر الاقتباس على القرآن لا غير، فقيل (الاقتباس أن يضمّن المتكلم كلامه كلمة من آية أو آية من كتاب الله خاصة)[2].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن على المقتبس من كلام الله عزّ وجل أو الحديث لا ينبّه على ذلك[3]. أي لا يقول في كلامه المنظوم أو المنثور: (قال تعالى...) أو (قال الرسول صلى الله عليه وسلم) أو ما يشبه ذلك من العبارات. ومن البلاغيين من وضع الاقتباس في مكانة مرموقة في الصناعة البلاغية، ليس فوقه من الكلام ما هو أعلى درجة منه، لأنّه ممزوج بالقرآن لا على وجه التضمين بل على وجه الانتظام به[4].

والاقتباس من القرآن على ثلاثة أقسام، مقبول ومباح ومردود، فالأول ما كان في الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك، والثاني: ما كان في الرسائل والغزل والقصص والثالث على ضربين، أحدهما ما نسبه الله تعالى إلى نفسه، ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه.

ومن المسائل التي يجب تثبيتها في موضوع الاقتباس أنّ الشعراء والخطباء والكتاب عندما يأتون بنصوص من القرآن أو الحديث الشريف لا يأتون بها على كونها نفس المقتبس منه، ولولا ذلك للزمهم الكفر في لفظ القرآن والنقص منه ولكنهم يأتون به استحسانا للفظ القرآن ولوقعه وتأثيره في النفوس.

---

[1] الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1405هـ، ص49.

[2] الأرزي تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي، خزانة الأدب، تح: عصام شعيتوا، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1987، ج2، ص 455.

[3] القلقشندي أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تح: يوسف علي الطويل، دار الفكر، دمشق، ط1 1987، ج1، ص 237.

[4] أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، المثل السائر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 1995، ج1، ص 137.

ولكي يزداد مفهوم الاقتباس وضوحا، نورد أمثلة عليه من القرآن الكريم.

عن ابن عباس قال: دعا الرسول صلى الله عليه وسلم وآله يوم حنين دعاء هو دعاء كل مكروب (كنت وتكون حياً لا تموت تنام العيون وتنكدر النجوم، وأنت حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم).

إشارة إلى قوله تعالى {اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ}[1]

وجاء أعرابي فشكا إلى عمر رضي الله عنه شدة وضيقا في الحال وكثرة من العيال فقال:

عليك بالاستغفار فإن الله تعالى يقول: {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا. وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا}[2] فذهب وعاد إليه يوما وقال: يا أمير المؤمنين قد استغفرت الله كثيرا وما أرى فرجا فقال له: قل: يا فارج الهمّ ويا كاشف الغمّ ويا منزل القطر، ويا مجيب دعوة المضطر، صلّ على محمد وعلى آله وفرّج عني ما ضاق له صدري وعيل معه صبري وقل: {فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ}[3]. {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ}[4] {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}[5].

وكان من دعاء علي رضي الله عنه: اللهم إليك رفعت الأبصار، وأفضت القلوب وبسطت الأيدي فافتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين.

---

[1] البقرة، {255}.
[2] نوح، {10-12}.
[3] غافر، {44}.
[4] هود، {88}.
[5] التوبة، {129}.

إشارة إلى قوله تعالى: {رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ}[1].

وعن عطاء قال: خرجت سرية إلى أرض الروم فسقط رجل منهم عن فرسه فانكسرت فخذه ولم يمكنهم حمله، فربطوا له فلرسه عنده ووضعوا له شيئا من الزاد والماء، فلما تولوا عنه أتاه آت فقال له: ضع يدك حيث تجد الألم وقل[2]:

{فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}[3]. ففعل وصح وركب فرسه وأدرك أصحابه.

يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: إذا ركبه الدين: {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}[4] اقضي عني الدين واغنني من الفقر برحمتك يا أرحم الراحمين.

-الدعاء عند إخراج الصدقة: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[5].

-الدعاء عند أخذ المصحف: {رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}[6].

---

[1] الأعراف، {89}.

[2] منصور عبد المالك الثعالبي، الاقتباس من القرآن ج2، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة ش.م.م.ص، ص 252 -253.

[3] التوبة، {129}.

[4] الانعام، {96}.

[5] البقرة، {127}.

[6] آل عمران، {53}.

-الدعاء عند النظر إلى السماء والنجوم: {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}[1] {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا}[2].

-الدعاء عند الظلم: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا}[3] {رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[4].

-الدعاء عند الذنب: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[5].

-الدعاء عند التهمة: {رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}[6].

دعاء الصبر:

-يقول تعالى: {... رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}[7].

ويقول تعالى: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ}[8].

---

[1] آل عمران، {191}.
[2] الفرقان، {61}.
[3] النساء، {75}.
[4] القصص، {21}.
[5] الأعراف، {23}.
[6] إبراهيم، {38}.
[7] البقرة، {250}.
[8] آل عمران، {8}.

ويقول عز شأنه: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}[1]

دعاء الخشية:

يقول تعالى: {.... رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}[2].

ويقول: {.... رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}[3].

يقول تعالى: {رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا}[4].

ويقول عز شأنه: {... رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}[5].

دعاء الشكر:

{رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}[6].

[1] آل عمران، {147}.
[2] البقرة، {201}.
[3] آل عمران، {16}.
[4] الفرقان، {65}.
[5] يونس، {85-86}.
[6] يوسف، {101}.

-ويقول تعالى على لسان "سليمان عليه السلام"[1]: {.. قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ}[2].

يقول تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}[3].

الاقتباس من الحديث النبوي:

لم يكن يشغل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدي الله عز وجل، ومناجاته، والتذلل له سبحانه في كل لحظة من لحظات حياته، أي شيء، حياته سلسلة متواصلة من الذكر والدعاء والعمل.

من أدعيته صلى الله عليه وسلم:

(اللهم أنت ربي لا إلاه إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلّا أنت). رواه بخاري.

(اللهم إنّي ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلّا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنّك أنت الغفور الرّحيم). رواه البخاري والمسلم.

[1] سعاد الناصر، الدعاء سبيل الحياة الطيبة، مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، كتاب الأمة، العدد/الخامس عشر بعد المائة، ص63.

[2] ص، {35}.

[3] البقرة، {128}.

(ربّ اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كلّه وما أنت أعلم به منّي، اللّهم اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي وهزلي، وكلّ ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدّمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنتُ أنت المقدِّم وأنت المؤخرُ وأنت على كلّ شيء قدير). رواه البخاري.

(اللهم اغفر لي ذنبي كلّه، دقّه، وجلّه، وأولّه، وآخره، وعلانيته، وسرّه). رواه مسلم.

(اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدّين وغلبة الرجال). رواه البخاري.

(اللّهم إنّي أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أردّ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر). رواه البخاري.

اللّهم إنّي أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر وعذاب القبر، ومن

فتنة النّار وعذاب النّار، ومن شرّ فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة

المسيح الدجال، اللّهم اغسل عنّي خطاياي بماء الثّلج والبرد، ونقّ قلبي من الخطايا كما نقّيت الثّوب الأبيض من الدّنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب). رواه بخاري.

(اللّهم ربّ السماوات وربّ الأرض وربّ العرش العظيم، ربّنا ورب كلّ شيء، فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شرّ كلّ شيء أنت آخذ بناصيته[1].

[1]أدعية النّبيّ صلى الله عليه وسلم، جمعها الشيخ: عبد المحسن العبّاد البدر رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ص 11-12.

اللّهم أنت الأوّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظّاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنّا الدّين وأغننا من الفقر). رواه مسلم.

(اللّهم إنّي أعوذ بك من شرّ ما عملت ومن شرّ ما لم أعمل) رواه مسلم.

اللّهم أصلح لي ديني الّذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي الّتي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي الّتي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كلّ خير، واجعل الموت راحة لي من كلّ شرٍّ). رواه مسلم.

(اللّهم إنّي أسألك الهدى والتّقى والعفاف والغنى). رواه مسلم.

(اللّهم إنّي أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب القبر، اللّهم آت نفسي تقواها وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليّها ومولاها، اللّهم إنّي أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها). رواه مسلم.

(اللّهم لك أسلمت وبك آمنتُ، وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت، اللّهم إنّي أعوذ بعزّتك لا إله إلاّ أنت أنْ تُضلني، أنت الحيّ الذي لا يموت والجنُّ والإنسُ يموتون). رواه البخاري ومسلم.

(اللّهم إنّي أعوذ بك من زوال نعمتك وتحوُّل عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك). رواه مسلم.

(اللّهم مصرّف القلوب صرّف قلوبنا على طاعتك). رواه مسلم.

(اللّهم ربّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحقّ بإذنك، إنّك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم). رواه مسلم.

(اللّهم إنّي أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك). رواه مسلم.

(اللّهم إنّي أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء). رواه مسلم. (اللّهم اجعل لي في قليب نورا، وفي لساني نورا، وفي سمعي نورا، وفي بصري نورا، ومن فوقي نورا، ومن تحتي نورا، وعن يميني نورا، وعن شمالي نورا، ومن بين يديّ نورا، ومن خلفي نورا، واجعل في نفسي نورا، وأعظم لي نورا). رواه البخاري ومسلم.

(باسم الله ذي الشّأن. عظيم البرهان. شديد السُّلطان. كل يوم هو في شأن. ما شاء الله كان. أعوذ بالله من الشّيطان. باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم. باسم الله على نفسي وديني باسم الله على أهلي ومالي. باسم الله على كلّ شيء أعطاني ربّي، باسم الله خير الأسماء. باسم الله ربّ الأرض والسّماء، باسم الله افتتحت وعلى الله توكّلت. أسألك اللهم بخيرك من خيرك الذي لا يعطيه غيرك. عزّ جارك. وجلّ ثناؤك. ولا إله إلّا أنت. اجعلني في عبادك وجوارك من كلّ سوءٍ ومن الشيطان. اللّهم ربّ السماوات السّبع وما أظلت. وربّ الأرضين وما أقلّت. وربّ الشّياطين وما أظلّت. كن لي جارا من شرّ خلقك كلّهم جميعا. أن يفرط على أحد أو أن يبغي عليّ. عزّ جارك. وجلّ ثناؤك. ولا إله غيرك، لا إله إلّا أنت. اللّهم ربّ السماوات السّبع. وربّ الأرض. ورب العرض العظيم. ربّنا ورب كلّ شيء. فالق الحب والنوى. ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان. أعوذ بك من شرّ كل شيء أنت آخذ بناصيته. أعوذ بوجه الله الكريم. وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهنّ برّ ولا فاجر. من شرّ ما ينزل من السماء. وما يعرج فيها ومن شرّ ما ذرأ في الأرض. ومن ضرّ ما يخرج منها. ومن فتن اللّيل والنّهار. ومن

طوارق الليل والنّهار. إلا طارقا يطرق بخير يا رحمان. أعوذ بكلمات الله التامّة من غضبه وعقابه. وشرّ عباده. ومن همزات الشّياطين وأن يحضرون. يا أرض ربّي وربّك الله. أعوذ بالله من شرّك وشرّ، وشرّ ما خلق فيك. وشرّ ما يدبّ عليك. أعوذ بالله من أسد وأسود. ومن الحيّة والعقرب. ومن ساكن البلد ووالد وما ولد. اللّهم أسلمت نفسي إليك. رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلّا إليك[1]. آمنت بكتابك الذي أنزلت. وبنبيك الذي أرسلت. اللّهم ربّ السماوات السّبع. ورب العرش العظيم. اللّهم اكفني كلّ مهمّ من حيث شئت. ومن أين شئت حسبي الله لديني. حسبي الله لدنياي. حسبي الله لدنياي. حسبي الله لما أهمني. حسبي الله لمن بغى عليّ. حسبي الله. لمن حسدني. حسبي الله لمن كادني بسوء. حسبي الله عند الموت. حسبي الله عند المسألة في القبر. حسبي الله عند الميزان. حسبي الله عند الصراط. حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو ربّ العّرش العظيم.

الاقتباس من كلام العرب:

كان القاضي شريح رحمه الله تعالى يقول في دعائه:

اللّهمّ إني أسألك الجنَة بلا عمل عملته، وأعوذ بك من النّار بلا ذنب تركته.

ودعت إحدى الصالحات في البيت الحرام فقالت:

- إلهي لك أذل وعليك أدل.

وكان أحد الصّالحِين يدعو ربه فيقول:

[1]النفحات المحمديّة، أدعية جليلة مقتبسة من الأدعية المرويّة وآداب الذكر والدّعاء وشرح أسماء الله الحسنى، تأليف عبد المنعم عبد السلام الحلواني. دار الطباعة الأهلية بالقاهرة، ص5.

– اللّهم إن كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك أبغضها إليك وهو الإشراك. وإن كنا قصّرنا عن بعض طاعتك فقد تمسّكنا بأحبّها إليك وهو شهادة أن لا إله إلا أنت، وأن رسلك جاءت بالحقّ من عندك.

ومن دعاء سلام بن مطيع:

– الهم إن كنت بلغت أحداً من عبادك الصّالحين درجة ببلاء فبلغنيها بالعافية.

وقيل لفتح الموصلي: ادع الله لنا فقال: اللّهمّ هبنا عطاءك، ولا تكشف عنا غطاءك. للّهمّ لا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى الناس فنضيع. وقال الإمام سفيان التُوري رضي الله عنه: كان

من دعاء السّلف: اللَّهمَّ زهِّدنا في الدنيا، ووسعّ علينا فيها، ولا تزوها عنا، ولا ترغينا فيها.

فيها، ولا تزوها عنا، ولا ترغينا فيها.

وكان بعض الأعراب إذا أوى إلى فراشه قال:

اللّهمّ إنّي أكفر بكلّ ما كفر به محمد يل وأومن بكلّ ما آمن محمد. ثم يضع رأسه وينام.

وقال الأصمعي:

حسدت عبد الملك على كلمةٍ تكلّم بها عند الموت وهي: – اللّهُمَّ إن ذنوبي وإن كثرت وجلت عن الصّفة فإنّها صغيرةٌ في جنب عفوك فاعف عني.

وقال طاوس بن كيسان:

– بينما أنا في الحجر ذات ليلةٍ إذ دخل علي بن الحسين[1] زين العابدين فقلت: رجل صالح من أهل بيت الخير. لأسمعن دعاءه. فسمعته يقول:

– عبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، فقيرك بفنائك.

فما دعوت بهما في كرب إلا فرج عني

وقال الشاعر أبو نواس (الحسن بن هانئ):

أحببت من شعر بشار وكلمته بيتا لهجت فيه من شعر بشار

يا رحمة الله جلي في منازلنا وجاورينا قوتك النفس من جار.

دعوة رجل صالح:

قال حميد بن هلال: كان بين مطرف وبين رجل من قومه شيء فكذب على مطرف. فقال مطرف: إن كنت كاذبا فجعل الله حتفك، قال: فمات الرجل في مكانه. قال: فاستدعى أهله زيادا على مطرف، فقال لهم زياد هل ضربه؟ هل هدمه بيده؟ فقالوا: لا. فقال دعوة رجل صالح وافقت قدرا، فلم يحمل لهم شيئا.

قال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون، فخرجت معهم. إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد اتزر بإحداهما وألقى بالأخرى على عاتقه.

فجلس إلى جنبي فسمعته يقول: إلهي أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوئ الأعمال، وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فأسألك يا حليما ذا أناة من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن

[1] محمد عبد الرحيم، الدعاء في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية/سوفنير، ط1، بيروت، 2000م، ص 11-13.

تستقيم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب، قال ابن المبارك – رحمه الله – فجئت إلى الفضيل. رحمه الله – فقال: مالي أراك كئيبا؟ فقلت أمر سبقنا إليه غيرنا، فتولاه دوننا، وقصصت عليه القصة، فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه.

كان عتبة الغلام سأل ربّه ثلاث خصال: صوتا حسنا، ودمعا غزيرا، وطعاما من غير تكلف. فكان إذا قرأ بكى وأبكى ودموعه جارية دهره، وكان يأوي إلى منزله فيصيب فيه قوته ولا يدري من أين يأتيه[1].

وللشاعر محمد عبد الله القولي ادعية بأسماء الله الحسنى:

يقول:

الله جل جلاله:

باسم الإله الذي آياته شهدت أن الوجود عديم الشأن لولاه

فذي الشموس وذي الأقمار باهرة وذي الكواكب تجريها عطاياه

كل الوجود قد ازدادت عوالمه وأطلقت في عجيب النطق الله

ومن دعاء الخضر عليه السلام:

بسم الله ما شاء الله، لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله، ما شاء الله الخير كله بيد الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله.

دعاء معروف الكرخي رضي الله عنه:

[1] خالد بن سليمان الربعي، المرجع نفسه، ص56.

حسبي الله لديني، حسبي الله لدنياي، حسبي الله الكريم لما أهمني، حسبي الله الحليم القوي لمن بغى علي، حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء، حسبي الله الرحيم عند الموت، حسبي الله الرؤوف عند المسألة في القبر، حسبي الله الكريم عند الحساب، حسبي الله اللطيف عند الميزان، حسبي الله القدير عند الصراط، حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم.

من دعاء الشافعي:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما تدري بما صنع الدعاء

سهام الليل لا تخطي ولكن لها أمد وللأمد انقضاء

فيمسكها إذا ما شاء ربي ويرسلها إذا نفذ القضاء [1]

جمالية الدعاء:

إن تنمية الذوق الجمالي عند المسلم بعد تربوي إسلامي عظيم، نجد أسسه مثبوتة في مختلف النصوص القرآنية، في مثل قوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}[2]، وقوله: {أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ}[3].

{وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}[4]، وغير ذلك من النصوص التي تتحدث عن مظاهر الجمال والزينة، وتلفت نظر الإنسان باستمرار إلى ما في الكون والوجود من آيات

[1] محمد عبد الرحيم، المرجع نفسه، ص 45.
[2] الكهف، {7}.
[3] ق، {6}.
[4] ق، {6-7}.

الجمال والروعة والفن والإبداع والإتقان، وتقوم شاهدة بجلاء على قدرة الله وعظمته وحسن صنعته، كما تزرع في نفسه بذور الإتقان والجمال وسمو الذوق، التي تنمو وتترعرع في أنماط السلوك والعلاقات، وتنفتح على آفاق الجمال في الكون، وتشد قلبه وعقله ووجدانه إلى الله تعالى مبدع الخلق والجمال في هذا الوجود.

وبذلك تكون التربية الجمالية، من معالم الطريق إلى معرفة الله تعالى، كما انها تصبح مكونا جوهريا من مكونات الكيان الإنساني، ومفسحة له المجال للترقي الحضاري، يقول مالك بن نبي، رحمه الله تعالى، في هذا المجال:

(الإطار الحضاري بكل محتوياته متصل بذوق الجمال، بل إن الجمال هو الإطار الذي تتكون فيه أية حضارة)، وبدون الإحساس الجمالي وتنمية الذوق والجمال تصبح الحياة جافة وقاحلة، ويفقد الإنسان عنصرا مهما من عناصر الحياة الطيبة، ويتخلى عن قيمة عليا من القيم التي تحكم علاقاته وتوجه سلوكياته، ويخسر الرغبة المتجددة في تحقيق الدقة والإتقان والكمال في أعماله التي تبعده عن الارتجال والفوضى والتعجل والسطحية والإهمال ومن أبرز المظاهر الجمالية التي تشهد لله تعالى بالعظمة والجلال، وتفتح الآفاق النفسية والعقلية والوجدانية لدى الإنسان، وتحفزه على التربية الجمالية وتنمية الذوق الجمالي.

يقول تعالى: {الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ}[1].

ويقول في آية أخرى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[2].

[1] الانفطار، {6-7}.

[2] سورة التين، {4}.

كما تتجلى هذه المظاهر بصورة جلية في الكون الذي يشكل لوحات فنية أخاذة، بكل ما فيه من تناسق وروعة وجمال، ومصدرا طبيعيا ساحرا للإلهام الفني والجمالي وتربية الحس والذوق والمشاعر وتهذيبها، يقول تعالى: {.. وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ...}[1]

ومثل هذه النصوص تبرز قيمة الجمال، وتدعونا إلى التنعم بهذه النعم العظيمة والتأمل في قدرة الله تعالى من خلالها.

وتطبيع الإنسان على ضرورة البحث عن الجمال، والتحلي به وتذوقه والتنعم به يربط المتعة الروحية والمادية بالحاجة الإنسانية، ويجعل الجميل يتضمن بالضرورة النافعة ولا يتناقض معه، يقول تعالى: {وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الرعد:4]، ويقول تعالى: {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ}[2].

آيات رائعة تكشف عن العلاقة الوثيقة بين المنفعة والجمال ...ويقول تعالى هاديا إلى تذوق جمال النعمة المرتبطة بمنفعة الحمد: {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ}[3].

[1] النمل، {60}.
[2] النحل، {6}.
[3] الكهف، {39}.

وتنمية الإحساس الجمالي في حد ذاته لدى الإنسان المؤمن هو تنمية للملكات والطاقات، التي أنعم الله تعالى بها عليه، وفي استخدام هذه الملكات سبلا للاستمتاع بما خلق الله في الكون والإنسان من آيات الزينة والجمال، وبالتالي شكره تعالى على نعمة خلقه لها.

وبذلك يقدم النص الدعائي جماليته في ضوء انفتاحه على عالم لا متناه من الدلالات وأشكالها التعبيرية، القادرة على احتواء انفعالات الداعي المتباينة، وتوجيه فكره إلى ما فيه صلاح نفسه واطمئنانها، وبما أن الدعاء حركات لفظية مباشرة تسعى للانتظام في النفس بما تحمله من دلالات وإيحاءات، فإنها تظل مشدودة في وظيفتها إلى الرؤية الكلية المتمثلة في ألفاظ الدعاء وتراكيب جمله وصوره البلاغية، التي تموج بشحنات عاطفية عالية تقوم على الابتهال والاستعطاف، وتعبر عن الوظيفة النفسية والحاجة الاجتماعية.

والعلاقة الفنية بين أسلوب نص الدعاء ودلالاته وأهدافه تشهد بجماليته السبك ورونقه، وبلاغته الإعجازية التي بمقدار ما تمتع الداعي جماليا، تحقق لديه نشوة عاطفية عالية، وتأملا فكريا عريضا، وهذه نماذج من الأدعية التي وردت في القرآن الكريم وفي السنة النبوية تكشف عن فاعليتها في النفس، سواء من خلال إشاعتها للجمال، أو من خلال جماليتها في حد ذاتها[1].

جمالية التخييل:

يعد التخييل أحد المبادئ البارزة في الدعاء الإسلامي[2]:

[1]سعاد الناصر، المرجع نفسه، ص 89-88-85.

[2]عبد الفضيل أحمد ادراوي، بلاغة الدعاء، بحث في المبادىء والسمات والوظائف، ط1، 2018م، ص 37-39.

فكثير من النصوص الدعائية يقوم على مسحة من التعبير الخيالي الذي يتجاوز المألوف من الصياغة اللغوية، ويتخطى التعبير المباشر، منفتحا على آفاق جديدة تقوم على عمليات من التشكيل الدلالي والأسلوبي، تحسن تطويع اللغة، وتستغل طاقاتها التعبيرية، لخلق العبارة في أبهى صورها الجميلة وأرقى مستوياتها التحسينية، من خلال ما سبق أن سماه ف.موروا ب "الفعالية لبخيالية "أو "الخيال الخلاق "في العمل الإبداعي.

في هذا الملمح نجد أن الداعي "المبدع" (يفكك كل الخلق و يخلق ..في الأعماق البعيدة للنفس، عالما جديدا يتيح الإحساس بالجدة).

ففي التعبير عن لحظة الموت و مجيء الأجل نجد أن مخيلة الداعي تصور الفكرة وفق سمات تخييلية تجعل منها موضوعة مركبة و ممتدة و مكثفة , مجللة بالهول و الرعب .ففي مقطع من دعاء ختم القرآن لعلي بن الحسين زين العابدين : (..اللهم صل على محمد وآله، و هون بالقرآن عند الموت على أنفسنا كرب السياق ، و جهد الأنين، و ترادف الحشارج إذا بلغت النفوس التراقي و قيل: من راق، و تجلى ملك الموت لقبضها من حجب الغيوب، ورماها عن قوس المنايا بأسهم وحشة الفراق و داف لها من ذعاف الموت كأسا مسمومة المذاق، و دنا منا إلى الآخرة رحيل و انطلاق و صارت الأعمال قلائد في الأعناق، و كانت القبور هي المأوى إلى ميقات يوم التلاق ...).

فنحن حيال مقطع دعائي غني بسمات تخييلية تقوم على سرد استباقي، فتقدم الفكرة في صورة جمالية مركبة، تقوم على الوصف التفصيلي الدقيق، الذي يتتبع من خلاله الداعي تفاصيل الموقف المهول من خلال تفاصيل الموقف المهول للحظة خروج الروح، فهو موقف كرب حقيقي يجسد حقيقة الضعف

البشري، حين تتسارع الأنفاس وتترادف الحشارج، وتعجز الذات حتى عن إصدار الأنين، مثلما يعجز الأهل عن توفير الطبيب الشافي ال الراقي.

وتتشخص فكرة الموت بشكل وأضح عبر استحضار ملك الموت المفاجئ وظهوره حقيقة ومشخصا أمام المالك لقبض الروح، بارزا من بين حجب الغيب المستورة، التي لا يدركها الإنسان الغافل قاصر النظر، ولا يلتفت إليها إلا وقد باغته الأجل.

ويقوم التخييل في المشهد على تكثيف الصور المخيفة، من خلال اعتماد معجم لغوي يستمد عناصره من حقل الحرب والقتل: (رماها-المنايا –أسهم-الموت-مسمومة-رحيل-القبور) ما يساهم في إضفاء جو من الرهبة والخوف على السياق.

ويتم اعتماد لغة مجازية ذات أبعاد إيحائية مدهشة، ففعل أخذ الروح يصور بوصفه رميا بالسهام، على سبيل الاستعارة التصريحية، كما يسند القوس إلى المنايا على سبيل الاستعارة المكنية، فيغدوا الموت بدوره محاربا متمكنا من هدفه بوسائل الرماية التي يمتلكها. وهو لا يرمي بالأسهم المعروفة في الحروب المعتادة – على خطورتها وشدتها – بل يرمي بأسهم غريبة. هي الأسهم التي توجب وحشة الإنسان، عندما يستشعر حقيقة فراقه أهله وأقاربه وأمواله وممتلكاته، وسائر الأمور الدنيوية. بل إن التخييل ليتعمق أكثر عندما يشعر السياق بمفارقة الإنسان لبدنه وتخلي جميع الجوارح عنه وعجزها مجتمعة عن تخليصه من هول اللحظة وعمق المأساة.

وتستمر مخيلة الداعي في تصوير دقة إصابة الهدف في هذه المعركة القاتلة، بالتعبير عن الإماتة بفعل "داف"، الذي يجعل من ملك الموت صانعا خبيرا في مجاله، يخلط وصفة ويجهزها بإتقان بالغ، ويختار المستحضر الخالص الذي لا مجال معه للخلاص أو حتى التأخر، فالوصفة (كأسا مسمومة المذاق).

توجب تسمم الإنسان وموته على الفور. ولعل من أوضح مستويات التخييل في المقطع، كون الداعي يشخص فكرة الموت المجردة، فيعمل على نقلها إلى عالم المحسوسات، من خلال اختيار أفعال ووضعيات تشخصها ماديا، وتجعلها أكثر واقعية وصدقية، فالموت يتجسد من خلال أفعال متتابعة (تجلى ملك الموت، رماها عن قوس المنايا –داف لها من ذعاف الموت –دنا منا إلى الآخرة رحيل –كانت القبور هي المأوى)، فتساهم مجتمعة في تجلية فكرة الموت، والإشعار بخطورته وبهول الموقف.

واللافت أن التخييل في النصوص الدعائية المدروسة، يكتسب خصوصيته من بقائه ضمن دائرة الممكن أو المصادق، أو المحتمل. فهو ليس بالضرورة عينه التخييل المألوف في الأجناس الأخر، نثرية كانت أم شعرية. لأن الداعي يظل ضمن الدائرة التي لا يصطدم فيها مع معطيات الوحي والإيمان، أي أنه يبقى ضمن ما يعبر عنه بعضهم ب "الخيال التظيف".

بناءا على ذلك فالصيغة الدعائية تتيح إمكانات التنوع والتحول ضمن دائرتها الكبرى والفسيحة. وهذا أمر قادنا إلى إمكانية تصنيفية إضافية، أتاحت لنا تعرف أنواع دعائية متحولة، وكاشفة عن مرونة إبداعية تخضع لسياقات نوعية مختلفة. تقوم على سمات جمالية تفرزها التشكلات النصية المختلفة، التي دلت على وعي جمالي خفي لدى الداعي لحظة إنتاجه الدعاء، وعلى عمليات من التصوير لعوالم النفس البشرية، والتعبير عن خلجات الذات وقضايا الإنسان.

الفصل الثاني: الدعاء والوظائف التأثيرية

المبحث الأول: حتمية الحجاج في الدعاء.

تبنت أغلب بحوث تحليل الخطاب المعاصرة الحجاج الذي هو من بين أهم النظريات التي تهتم بها التداولية، ذلك أنه آلية مهمة، وتكمن أهميتها في انطباقها السهل واليسير على جل المدونات التي يعنيها الدرس التداولي بالتحليل فالحجاج يحمل معاني كثيرة منها: التخاصم، التنازع، التغالب، وذلك باستعمال الدليل والبرهان، فأساس الحجاج الارتكاز على دليل معين قصد اثبت قضية ما.

ان الحجاج جنس خاص للخطاب، صادر من المتكلم له دعواه خاصة التي يريد ايصالها إلى المتلقي وإقناعه بها، عبر مجموعة من التبريرات والتعليلات والبراهين، ان عملية إطلاق التسميات في الخطاب الدعائي، تعد من أهم أساليب الفعل الدعائي الإقناعي، القائم على إيديولوجية الاشتغال بالدال، وتثمين هذا الدال، بخلق تمثيل تأويلي للمدلول يندرج ضمن نسق محدد ويستجيب لوظيفة محددة، وهي تحقيق مقصدية الفاعل الدعائي في الإقناع والتنقيع عبر المنطق الدعائي السلبي والايجابي.

حتمية الحجاج في الدعاء:

لقد وصف الخطاب الحجاجي من داخل الخطاب بواسطة مختلف أشكاله البنيوية ومن خارج الخطاب بواسطة الأثر الذي قد يرتبط به أي الإقناع. وقد وضع هذا الأثر في المرتبة الأولى في التعريف الكلاسيكي الجديد الذي وضعه ش.برلمان ول.أولبراخت-تيتاكا، "فموضوع [النظرية الحجاجية] عندهما هي دراسة الفنيات الخطابية التي تمكن من الحصول على موافقة العقول على الأطروحات التي تعرض عليها أو دعم موافقتها" (5:1970). وقد وسع مجال الحجاج ليتجاوز الأجناس البلاغية التقليدية الكبرى وليطابق مفهوم

المطارحة بكل أشكالها، (باتريك شارودو-دومنيك منفوتو[1]). بل يمكن التحليل البلاغي للدعاء أن يتم بمعزل عن معانيه جوانبه الحجاجية الإقناعية، أو يغفل مقاصده الخارجية، خصوصا باستحضار المفهوم العام للحجاج، فهو" يتسع لنشاط الكلام" وهو أحد أحلى معانيه "التعبير عن وجهة نظر في ملفوظات عديدة أو ملفوظ واحد بل حتى كلمة واحدة"[2].

إذا ما حددنا الحجاج بأنه محاولة لتغيير تمثلات المخاطب فمن الواضح أن كل إخبار من شأنه أن يضطلع بهذا الدور ويمكن أن يسمى بهذا المعنى حجاجيا (بنفنيست 242:1966). فكل ملفوظ وكل ملفوظات متعاقبة متناسقة (وصفية، سردية) تقيم وجهة نظر تمثل دراستها موضوع المنطق الطبيعي والحجاج في نظر ح.ب.غريز، "تمش يرمي إلى العمل على تأثير في رأي شخص أو موقفه بل وحتى في سلوكه" بوسائل الخطاب. "إن الحجاج كما أفهمه يعتبر المخاطب لا بوصفه شيئا يتصرف فيه المرء، وإنما هو المعادل الموضوعي له الذي يخمله على مشاركته في الرؤية؛ والعمل على التأثير فيه هو السعي إلى تغيير مختلف التمثلات التي تنسب إليه بإبراز بعض مظاهر الأشياء، وإخفاء البعض الآخر، واقتراح مظاهر جديدة وذلك بواسطة ترسيمية ملائمة". فلملفوظ إخباري عادي من قبيل: "الساعة هي الثامنة" هو حجاجي بهذا المعنى: "الاحتجاج معناه التلفظ ببعض الجمل التي يختار التأليف بينها، وتلفظ معناه مقابل ذلك الاحتجاج لسبب البسيط المتمثل في اختيار المرء أن يقول ويدعي بعض الأشياء دون غيرها (فينيو 91:1981، فينيو 1988)[3].

[1] باتريك شارودو، دومنيك منغو، معجم تحليل الخطاب، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008 م، ص 68.
[2] عبد الفضيل أحمد ادراوي، المرجع نفسه، ص 270.
[3] باتريك شارودو، دومنيك منغو، المرجع نفسه، ص 68-69.

وإطلالة سريعة على المأثور من الأدعية في التراث العربي الإسلامي سواء أكانت أدعية واردة في القرآن الكريم، أم موروثة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أم لهجت بها ألسنة الصحابة والتابعين والداعين من المتصوفة ورجال العرفان نثرا وشعرا في مختلف العصور كلها محكومة بسمات الحجاج ونزوعات نحو الإقناع، ولا يمكن بحال فصلها عن السمات العاطفية المتأصلة فيه، وهذا ما يثبت بوضوح ضرورة استنطاق هذا الموروث ومساءلته من زاوية طاقاته الحجاجية، وخصوصياته الأسلوبية والبلاغية النازعة نحو البرهنة والاستدلال ، وتحقيق التأثير على الآخر.

وغير خاف أن الداعين المسلمين كانا ينتجون خطاباتهم في بيئة سجالية بامتياز. نظرا إلى تعدد المشارب الفكرية والاجتماعية والأخلاقية تبعا لتعدد مكونات المجتمع الإسلامي، ونظرا إلى تعدد المدارس الفكرية والكلامية وكثرة المذاهب الفقهية، ونظرا إلى غنى المدارس الفلسفية على الساحة الإسلامية، على امتداد تاريخ الدولة الإسلامية الممتد. هذه الأمور تستلزم من صاحب أي خطاب الاستعداد لمناقشة الآخرين، مؤمنين وغير مؤمنين، وحتى من الكفار والزنادقة والمتعصبين ومن المنتصرين للسلطة الحاكمة والسائدة، فلا مناص إذن من خضوع الداعي لمقتضيات المقام الإقناعي ولا مناص له من تمثل المقولة التواصلية الشهيرة: لكل مقام مقال" فكلامه حتما موجه إلى الصديق وإلى الخصم أو العدو وهم حتما يواجه وجهات نظر مختلفة ويصارع عقابات وقناعات وأطروحات ليست بالضرورة على وفاق مع تصوره ومعتقده[1]، فذلك كله لن يؤدي لاستغلاق معنى الكلام، لأن معرفتنا بقصد المتكلم وحالة تجعلنا قادرين على فهم ما يريد التعبير عنه. وكان هذا كله دفاعا عن وجود المجاز في القرآن-كلام الله-ونفي صفة الكذب عنه.

[1] عبد الفضيل أحمد ادراوي، المرجع نفسه، ص 270-271.

ولقد تحدد مفهوم المجاز نفسه باعتباره قسيما للحقيقة على يد المعتزلة ابتداء من الجاحظ. ولا شك أنهم قد استفادوا من جهود المفسرين واللغويين حول النص القرآني. وإذا كان المصطلح نفسه لم يرد في القرآن، لا بمعناه اللغوي أو الاصطلاحي، فقد كان المصطلح "المثل" هو المصطلح البديل في مرحلة نشأة التفسير الذي ارتبط بالخلاف حول تأويل النص القرآني بين الفرق المختلفة. وكان ورود هذا المصطلح بكثرة في القرآن اعطاء شرعية له ليستخدم في الدلالة على عدم إرادة المعنى الحرفي للفظ أو العبارة. ومع نمو حركة التفسير والتأويل تحددت عناصر المجاز وأنواعه المختلفة ولم ينفصل هذا التحديد عن الغاية التأويلية للنص القرآني[1].

لقد ورد الحجاج في القرآن الكريم بمعانيه المختلفة، فقد جاء بلفظ حجاج وجدل وبرهان، ونلمسه في آيات كثيرة، ونأخذ قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ}[2].

ولقد فسر هذه الآية محمد الطاهر بن عاشور بقوله:" معنى حاج خاصم وهو فعل جاء على زنة المفاعلة ولا يعرف لحاج في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام ولا تعرف المادة التي اشتق منها، ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى مع أن حاج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة وأن الأغلب أن يفيد الخصام بباطل.

وقال أيضا ابن عاشور في شأن الجدل عند تفسير قوله تعالى: {وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ}[3].

[1] نصر حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير دراسة في قضية المجاز عند المعتزلة، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ط1 1998م، ص 243.

[2] البقرة، {258}.

[3] النساء، {107}.

فسرها ابن عاشور بقوله: "والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجة فيه وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك".

وقال في موضع آخر: "المجادلة: المخاصمة بالقول وإيراد الحجة عليه، فتكون في الخير كقوله تعالى: {يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ}[1] وتكون في الشر كقوله: {وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ}[2]. نستخلص من كلام ابن عاشور من خلال تفسيره لبعض الآيات ما يلي :

أنه جعل الحجاج مرادف للجدل، والجدل هو "

فعل الجدل المدافعة ليظهر الحق أي دفع السائل وعلم الجدل هو العلم الذي يعرف فيه صحيح الدفع وفاسده، وبعبارة أخرى الجدل كفعل رد للخصم عن رأيه إلى غيره بالحجة، والجدل كعلم آلة يتوصل بها إلى فتل الخصم عن رأيه إلى غيره بالدليل أو قانون صناعي يعرف أحوال المباحث من الخطأ والصواب على وجه يدفع عن نفس الناظر والمناظر (المعلل والسائل) الشك والارتياب.

أنه جعل معنى حاج في الآية الأولى بمعنى المخاصمة، وتكون هذه المخاصمة بباطل وليس بحق كما بين أن الجدل هو القدرة على الخصام لتقنع به غيرك .

قسّم الجدل إلى قسمينّ، الجدل الذي أريد به الخير أو الحقّ ما يسمّى كذلك بالجدل المحمود والجدل الذي به الباطل أو ما يسمى بالجدل المذموم كما أننا نجد أن كلمة برهان وردت ثمان مرات ومنه قوله تعالى: {تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}[3].

[1] سورة هود، {74}.
[2] البقرة، {197}.
[3] البقرة، {111}.

وقد فسرها "الزمخشري "في "الكشاف"، بقوله:" قلّ هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنّة إلاّ من كان هودا أو نصارىّ، فقل هاتوا برهانكم هلموا حجّتكم على اختصاصكمّ بدخول الجنّة إن كنتم صادقين في دعواكم، وهذا أهدم شيء لمذهب المقلدين، وأن كل قول لا دليل عليه فهو باطل.

فالبرهان أن تأتي بدليل قاطع لتثبت صحة دعواك، أي لا يكون فيه أي شك واحتمال.

ونجد أيضا أنّ الحجاج في الحديث النّبوي الشريف قد تباين واختلف من حديث إلى آخر، ومن أشهر ما يستدل به في الموضوع حديث الرجل الذي جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلّم ناكرا لون ولده قائلا: "يا رسول الله إنّ امرأتي ولدت غلاما أسود فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: هل لك من إبل قال نعم، قال ما ألوانها؟ قال حمر قال: هل فيها أورق؟ قال نعم، قال: فمن أين ذلك؟ قال: لعل عرقا نزعه فقال الرسول، وهذا الغلام لعلّ عرقا نزعه".

وهذا تبيين لاستدلال الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو الذي علينا إتباعه والامتثال لأوامره من غير أن نطالبه بدليل، فهو يبين لنا الأدلة ويرتبها حق ترتيبها رأينا آنفا أن الحجاج اختلفت مدلولاته وتشابكت بين الحجاج والجدل والبرهان لاسّما في القرآن والحديث النبوي[1].

تحليل الخطاب في ضوء استراتيجية الإيتوس عند محمد مشبال:

اهتم محمد مشبال بالايتوس باعتباره استراتيجية حجاجية تساهم في تحليل الخطابات الإقناعية وتجسد هذا التوجه المنهجي في تحليله للمدونات التالية: الإيتوس في النص القرآني[1]:

[1] جدي ايمان، روابحي أحلام، الحجاج والمغالطة دراسة تداولية في سورة الفرقان، مذكرة تخرج تدخل ضمن نيل شهادة الماستر كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي تخصص علوم اللسان، الجزائر تبسة، 2017 ص 33-35.

سعى "محمد مشبال" للإجابة عن السؤال التالي: كيف يؤثر الله عز وجل بوصفه متكلما بصورته أو بالمظاهر التي تجلى في النص القرآني؟ واقتضى منه ذلك النظر إلى الأسلوب في النص القرآني " نظرة بلاغية جديدة قوامها أن مظاهره ووجوهه لا يمكن فصلها عن مصادر الحجاج الثلاثة التي وقف عليها أرسطو: اللوغوس والإيتوس والباتوس " ولذلك يجب البحث في العلاقة بين الأسلوب والإيتوس في النص القرآني.

اعتبر محمد مشبال أن الإيتوس هو إحدى الاستراتيجيات الحجاجية المميزة لبلاغة النص القرآني مؤكدا على أن " تصديق دعوى القرآن تمر عبر تصديق المتكلم، أي توثيق الصلة بين الحجاج والمحاج".

إن مفهوم الإيتوس الديني يقتضي الحديث عن نوعين من الإيتوس هما: الإيتوس المقول: و فيه يتم الإحالة إلى الذات الإلهية عبر أقوال في صيغتي ضمير المتكلم أو ضمير الغائب، وبالصفات التي أسندها إليها، ومثل محمد مشبال لذلك بعدة آيات قرآنية منها تعالى: { مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} وقوله {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ}.

الإيتوس الموحي: وفيه تتشكل صورة الذات الإلهية " بواسطة التلفظ وجهات الكلام، أي بالاختيارات المعجمية والأسلوبية ومثل محمد مشبال لهذا النوع الحجاجي بقوله تعالى {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} فالوجوه الأسلوبية المميزة لهذه الآية القرآنية ذات وظيفة حجاجية مرتبطة بالصورة التي تجلى بها الله سبحانه وتعالى بوصفه ذاتا

[1] غالم عبد الصمد، تحليل الخطاب الحجاجي وفق استراتيجية الإيتوس في المشروع البلاغي لمحمد مشبال، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 08 عدد 05 الجزائر، 2019 ص 134-135.

متكلمة تتوخى الإقناع والتأثير. سعى محمد مشبال لاستثمار تأويل السكاكي للآية السابقة للوقوف على الوجوه الأسلوبية ذات العلاقة بحجة الإيتوس، وذكر منها:

يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء: إيتوس الإرادة الخارقة والاقتدار العظيم وكمال الهيبة يا ...: إيتوس الكبرياء والجبروت.

وقيل (الإضمار): ايتوس الصورة الخارقة الله سبحانه وتعالى.

حجاج سيدنا إبراهيم مع قومه:

لقد تناولت سورة الأنبياء في مقطعها الثاني قصص بعض الرسل وحجاجهم مع أقوامهم لتبليغ كلمة التوحيد فتحدثت عن (إسحاق ويعقوب، لوط، نوح، سليمان.....) بإيجاز، بالمقابل تتحدث السورة عن قصة سيدنا إبراهيم وحجاجه مع أبيه وقومه بإسهاب في أسلوب شيق، فيه نصاعة البيان وقوة الحجة والبرهان ما يجعل الخصم يقر بالهزيمة في خنوع واستسلام وسنعرضها كالتالي[1]:

فاستعمل سيدنا إبراهيم أسلوب الحوار والبناء مع قومه لدعوتم لترك عبادة الأصنام وتوحيد الله، وأقام عليهم الحجة بذكر بعض دلائل وجود الله كالخلق والإطعام والإماتة والإحياء .....مناهج الجدل" أنه: " لئن كان سيدنا إبراهيم عليه "ذكر الألمعي في كتاب السلام في هذا الموقف ناظر فقد توجه بالفطرة السليمة من قبل الرسالة إلى الله الحق، وذكر أكثر الزام لقومه، وأفحم لهم بالطريقة الأولى لأنهم ينتسبون إلى رجل

[1] إيمان درنوني، الحجاج في القرآن الكريم سورة الأنبياء أنموذجا، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، تخصص علوم اللسان، الجزائر، 2013، ص 112-117.

رفض الكواكب والأصنام بفطرته التي فطره الله عليها قبل أن يكون رسولا ولئن كان منظرا فقد أفحم قومه، وجدد معالم عقيدته".

أما الأسلوب الآخر الذي اتبعه النبي إبراهيم عليه السلام في حواره مع قومه عندما قام بتحطيم الأصنام، فقد وضعهم أمام الأمر الواقع، وأراهم تفاهة الأصنام، وأنها لو كانت آلهة لدافعت عن نفسها، وبهذا الفعل فتح المعركة التي تفسح له المجال للدخول في الحوار الذي يصل إلى الهدف الذي يريد الوصول إليه بمواجهتهم بالخطأ الكبير في عقيدتهم أو في سلوكهم ودفعهم إلى أحد الموقفين إما موقف الاعتراف بالحقيقة من خلال اكتشاف الخطأ، وإما موقف الظهور بمظهر العناد والمكابرة الذي يفقدهم الشعور بالاحترام لدى أنفسهم فيفقدون بذلك كل قوة للتأثير على الآخرين في السير خطي الضلال.

قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}[1].

[1] الأنبياء، {51-61}.

"إن إبراهيم عليه السلام قد نسب العمل إلى الصنم الكبير، وهو غير صحيح، ولكنه لم يرد أن يطرحه ليقر ويعترف به بل ليسجل من خلاله على عبدة الأصنام الاعتراف بخطأ عقيدته من حيث لا يشعرون".

لقد ألزمهم الحجة وأسكتهم بالبرهان وناقشهم بمنطق الفكر فحاصرهم وأحرجهم، وجعلهم أمام الحقيقة الناصعة، ولن يكون هناك سوى جواب واحد لا غير، فمن هذا الذي يصدق أن الصنم الكبير هو الذي كسر الأصنام الأخرى {ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ}[1].

وهنا يأتي البيان بعدما هيأ الأجواء المناسبة، وهيأ العقول والنفوس {قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}[2].

"فسيدنا إبراهيم عليه السلام اتخذ في حجاجه مع قومه منهجا تحرك فيه جميع مدارك، النظر، التفكير والدبر، صدع عقولهم بالحقائق تفاهة الأصنام وعجزها".

اتبع الكواكب ونظرا فيها، فألفاها تغيب والإله لا يعيب، فإن غاب فمن يدبر أمر مخلوقاته، فأبعد هذا الاحتمال أن تكون العبودية للكوكب، ثم اتجه إلى الأصنام فأراد أن يعرف الناس حقيقتها، فإن كانت إلها حقا فأنها ستعاقب من يقربها بسوء، لكن سيدنا إبراهيم راع عليها ضربا، فلم يجد منها حركا، وبهذا يكون قد اسقط جميع الاحتمالات لألوهية الأصنام، وبهذا تكون قد طهرت الذهنية العاقلة التي تدرك وتعي حقائق الأمور من جميع العبادات الواهية {قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}[3].

---

[1] الأنبياء، {65}.

[2] الأنبياء، {66-67}.

[3] الأنبياء، {66-67}.

إن المقدمات التي قدمها سيدنا إبراهيم باستقراء حقائق ما هو معبود من كواكب وأصنام سيوصله حتما إلى نتيجة ضمنية ألا وهي فساد هذه العبادات وتسمية من يعبد فمن لا يستحق أن يعبد ثم ترسيخ العقيدة الصحيحة وعبادة الواحد الأحد.

حجاج سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) مع قومه:

بعد الحديث عن حجاج سيدنا إبراهيم مع قومه فيمكن التعرض إلى جدال آخر الأنبياء مع قومه الذي لقي هو الأخر ما لقيه الأولون {وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ}[1].

في سبيل إثبات نبوته وإقناع الناس برسالته، فقد أعلن أنه رسول الله ودعا قومه إلى عبادة الله، ولم يقف العرب وحدهم ضد الرسالة بل حتى اليهود والنصارى وأبرز الشبهات التي اعترضها المشركين رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أو ما قصه الله تعالى: {بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ}[2].

{وهذا الإضراب في وصب القرآن الكريم يدل على التردد والحيرة في تزويدهم للحق الساطع في قولهم الثاني أفسد من الأول والثالث أفسد من الثاني}.

فقد استملت الآية على عدة شبه ضد رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أو لها أنه شاعر وثانيها أنها (الرسالة) مجرد أضغاث أحلام وثالثها أنه لم ينزل معه آية كما جاء بها الرسل الأولون تشهد على صدق

[1] الأنبياء، {41}.
[2] الأنبياء، {5}.

رسالته وقوله تعالى: {لَاهِيَة قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ}[1].

{وفي الآية الكريمة شبه أخرى اعترض بها كفار قريش على دعوى سيد المرسلين بقولهم إنه بشر مثلهم}.

ولقد رد القرآن الكريم عن هذه الشبه بحجج أقوى منها ليدحضها دعوى المشركين، قال تعالى: {لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}[2].

وقال أيضا: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ}[3].

وفي الرد على الشبهة الثانية قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُون}[4].

وفي الرد على شبهة أن الرسول صلى الله على وسلم يأتهم بآية كما جاء الأولون قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}[5].

وقوله: {ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ}[6].

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}[7].

---

[1] الأنبياء، {3}.
[2] الأنبياء، {10}.
[3] الأنبياء، {24}.
[4] الأنبياء، {108}.
[5] الأنبياء، {7}.
[6] الأنبياء، {9}.
[7] الأنبياء، {25}.

أما رده على الشبهة الرابعة في أن الرسول لا يختلف عن الرسل السابقين فهو بشر مثلهم ولذلك أوحى الله إليه بالرد على هذه الشبهة: {وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ}[1].

وقوله: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ}[2].

فكون الرسول (صلى الله عليه وسلم) يتصرف في حياته العادية مثل الناس يأكل ويشرب ويموت كل ذلك لا يطعن في مصداقية القرآن الذي جاء به.

المبحث الثاني: الوظائف التأثيرية للدعاء على المتلقي.

يعتبر الدعاء نوعاً من العبادات التي يلجأ بها العبد على اختلاف دياناته أو معتقداته إلى التضرع لله تعالى، وطلب المغفرة والتوبة، أو لسؤال الله تعالى عن حاجة من حاجات الدنيا أو الآخرة، كما يعرف الدعاء في الشريعة الإسلامية بأنه عبادة مشروعة يتوجه بها العبد إلى ربه وحده لا شريك له، فيسأله ويطلب منه ما يرجوه من أمور الدنيا والآخرة قال تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}.

فالإنسان عندما يفقد الحول والقوة يلجأ إلى الله تعالى ليكشف ضره ومرضه وخوفه، ويرفع عنه الشدة، ومن ذلك قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ} أو يدعوه شكرا على ما يصيبه من نعمة أو حظ سعيد. وجاء في السنة النبوية الكثير من الأحاديث التي تحث على الدعاء والابتهال إلى الله تعالى، وبيان فضله وآدابه عظيم ثوابه، وقد ثبت في السنن اذ قال رسول صلى الله عليه وسلم (الدعاء مخ العبادة) لقد اشتغل

[1] الأنبياء، {8}.

[2] الأنبياء، {34}.

بالأدعية عدد كبير من العارفين رواية وشرحاً وتحقيقا منذ وقت مبكر، وبذلك يعد الدعاء أحد الأجناس الأدبية التي عرفت منذ زمن بعيد فقد أورد القرآن عددا من الأدعية على ألسنة الأنبياء السابقين بل حتى غير الأنبياء من عامة البشر، وأكدوا جميعهم على مسالة الدعاء و أثرها على حياة الانسان، فهو يغذي الانسان روحيا و يجعله يتحسس الربوبية و الطاعة و الخضوع إلى الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم : الدعاء سلاح المؤمن و عمود الدين و نور السماوات و الارضين، وقال الله لموسى (عليه السلام): يا موسى سلني كل ما تحتاج اليه حتى علف شاتك و ملح عجينك.

تأثير الدعاء في المتلقي.

لقد ارتكز الفهم لدى عامة المسلمين على مسلمة افتعلتها السلطة بأجندتها الدينية والإعلامية بأن ولاة الأمر (الحكام) هم الأئمة والخلفاء للرسول (صلى الله عليه وسلم)، فكان لابد من تصحيح هذا المسار العقدي، وإرشاد المسلمين إلى المفهوم الحقيقي للإمامة[1].

ولما كان هذا الموضوع يثير حفيظة السلطة؛ بل ويهدد وجودها، لذلك أصبح من الطبيعي أن تواجه كل من يقترب منه بأشد ما لديها من قوة. فلجأ الإمام السجاد إلى تأسيس مقاصد خفية ضمنها في دعائه كي يتسنى للجمهور التواصل معه أمام حشد هائل من المسلمين كي يضمن أعلى درجات التأثير في المتلقي وبالتالي النجاح التام لرسالته. وكان من جملة ما قاله: (رب صل على أطائب أهل بيته الذين اخترتهم

[1] علي كاظم محمد علي المصلاوي، عمار حسن الخزاعي، القصدية التواصلية في دعاء عرفة للإمام السجاد عليه السلام مقاربة تداولية، العراق، كلية التربية للعلوم الإنسانية، السنة السادسة، المجلد السادس العدد الخاص السادس، كانون الأول 2017 ص 41-43-49-50.

لأمرك، وجعلتهم خزنة علمك، وحفظة دينك، وخلفاءك في أرضك، وحججك على عبادك، وطهرتهم من الرجس والدنس تطهيرا بإراداتك، وجعلتهم الوسيلة إليك والمسلك إلى جنتك).

فنجد الإمام السجاد غلف خطابه بمفهوم الدعاء ليضمن استمرارية التواصل مع الجمهور والتأثير فيهم، إذ لو كان هذا الكلام الذي تناول مفهوم الإمامة على شكل خطبة حماسية يخطبها الإمام السجاد في حشود الحجاج لكان رد السلطة عليه سريعا وشديدا ويصل الأمر إلى تصفيته مع من يلوذ به، ولذلك عمد الإمام السجاد إلى اختيار الآليات التواصلية التي تناسب معطيات عصره، بحيث تضمن استمرارية التواصل مع الجمهور، وغفلة السلطة عن هذا التواصل فضلا عن المقاصد التي يحملها. ومن هنا فإن التداولية لا تبحث عن (ماذا يقول المتحدث، ولكن لماذا يقول ما يقوله في سياق معين).

لقد أسس الإمام السجاد قواعد أساسية التي يعتمد عليها الدين الإسلامي، وهي (التوحيد، النبوة، الإمامة)، عن طريق طرح المفهوم الصحيح للعقائد الإسلامية بصورة واضحة المعالم، ولكن بأسلوب غير مباشر تحت مظلة الدعاء، وهي تكاد تكون الوسيلة الوحيدة المتاحة له في ذلك العصر، وبها استطاع أن يؤسس للتواصل مع المسلمين، فكان يبث في الدعاء مقاصد تتجاوز الغرض الأصلي له إلى أغراض تخاطبية تواصلية، فخرج عن مفهوم الدعاء العام الذي يبني على حديث الروح مع الخالق العظيم لينشئ حوارا موجها إلى المتلقي عصره وما يأتي من العصور الأخرى، يعالج فيه أهم المشاكل التي تعصف بمجتمعه، ويؤسس لرؤية إسلامية مستمدة من وحي الرسالة ومنبعها الصافي رسول الله محمد صلى الله عليه. فالإمام كان يهدف إلى التأثير بمتلقي رسالته، ولذلك كان منجزه ينضوي تحت مفهوم الخطاب، الذي هو (كل تلفظ يفترض متكلما وسامعا، وعند الأول قصد التأثير في الثاني بطريقة معينة)، ولذلك لا يمكن تحليل

الخطاب بمعزل عن المقام؛ لأنه فعل منجز في مقام معين، وزمان ومكان معينين، وقد ذهب بنفنست إلى أن الحديث عن الخطاب يحتم مغادرة عالم (اللغة بوصفه نظاما للعلامات وندخل إلى عالم آخر هو عالم اللغة بوصفها وسيلة اتصال تعبر عن نفسها بالخطاب).

اعتمد الإمام السجاد على وسيلة الدعاء العبادية التي لا تتعارض مع توجهات السلطة في مفهومها العام إذ كان عصره مضطربا سياسيا، وكانت السلطة الأموية فيه تواجه من يعارضها بأشد وسائل القتل والتنكيل، فعمد إلى وسيلة الدعاء وضمنها مشروعه الرسالي وأنشأ عن طريقها تواصلا خفيا مع المتلقي خطابه، واستطاع أن يوصل إليهم رسالته الدينية إذ أن دعاء عرفة وخصوصا مقدمته لم يكن مجرد حديث روح مع خالقها وإنما كان خطابا موجها للجمهور يحمل رسالة دينية تتضمن طرحا للمشروع العقائدي السليم، وبذلك توفرت مقومات العملية التخاطبية من متكلم ومخاطب، وعند الأول نية التأثير في الثاني، فضلا عن الزمان والمكان والغرض.

القرآن الكريم والدعاء:

حين نقرأ القرآن الكريم نجد فيه الكثير من الآيات البينات التي تدعونا للدعاء من الله سبحانه وتعالى وآيات أخرى تعلمنا كيف ندعو من الله سبحانه وتعالى وآيات أخرى تعلمنا ما كان يدعوا به الأنبياء والمرسلون الكرام والناس في حالتي السراء والضراء حين دعائهم وتضرعهم إليه سبحانه وتعالى[1].

[1] حسين علي خليف الجبوري، آيات الدعاء في القرآن الكريم، بحث في آيات الدعاء كما جاء في القرآن الكريم ص 8-10.

والقرآن الكريم كتاب الله العظيم والبحر الزاخر بالعلم والمعرفة والنور، نهل منه الناهلون وغرف من فيضه الظامئون لأنه خير لا حدود له وعلمُهُ بحر زاخر فياض لا يصل إلى مداه ومنتهاه عالم أو حكيم أو فيلسوف أو مفكر أو مصلح فهو مصدر للجميع ونور يغمر الجميع.

ورد في القرآن الكريم في المواضيع المهمة والرئيسية في دين الإسلام آيات كثيرة في كل موضوع مثل آيات التقوى، آيات التوحيد، آيات التحذير من عذاب الله سبحانه وذكر القيامة وأهوالها وذكر الجنة والنار وآيات في جدال ومحاججة الكافرين والمشركين والمنافقين ودحر حججهم وأباطيلهم. وفي موضوع الدعاء وردت في القرآن الكريم 156 آية كريمة في مواضيع الدعاء المتعددة التي تناولتها الآيات الكريمة متناثرة في سور القرآن الكريم.

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وقائل مصدَّق ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار).

عندما تبحر في القرآن الكريم بعقل متفتح متدبر فإنك تجد من الجواهر واللآلئ الكريمة ما لا يعد ولا يحصى، وكلما ازددت إبحاراً في الأعماق بهر عقلك وفكرك عظمة هذا الكتاب المستمدة من عظمة الله سبحانه وقد وصفه الله سبحانه بأنه (عظيم). ولا يخفى على القارئ الكريم أن ما يصفه الله سبحانه بالعظيم فلا حدود لعظمته وبركته وخيره الذي لا يعرف مداه إلا الله سبحانه وتعالى.

{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ}[1]، ففي القرآن العظيم آيات الدعاء تعلم المسلم كيف يتوجه إلى ربه سبحانه في كل أحواله، في السراء يدعوه بالخير والعفو والمغفرة وطلب الجنة والدعاء لأهله ووالديه وإخوته وأصدقائه المؤمنين وشكره تعالى على أفضاله ونعمه.

وفي الضراء يدعوا ربه سبحانه للنجاة والخلاص من المآزق والكربات والشر والضرر لكي ينجيه ربه سبحانه ويخلصه مما هو فيه من الصعوبة والضنك.

ورد عن الإمام علي رضي الله عنه في قوله سبحانه {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا}[2] قال بينه تبيينا ولا تهذه هذ الشعر ولا تنثره نثر الرمل لكن إقرعوا قلوبكم القاسية ولا يكن هم أحدكم آخر السورة.

يقول العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله في مقال له على موقعه في شبكة الإنترنت بعنوان دعاء المؤمن في القرآن: إن الدعاء هو رابطة أو علاقة خاصة بين الإنسان والله (سبحانه) والدعاء سواء أُدي بصورة فردية أو جماعية فهو يؤكد على هذه العلاقة. ولأن الدعاء في جوهره توجه وانقطاع إلى الله تعالى بالحوائج والرغبات وبمختلف ما يعاني منه الإنسان ويضغط عليه في حياته فهو لاريب يقوي ويعزز الإيمان بالله تعالى، بل أكثر من ذلك هو يعزز الحالة الشعورية والوجدانية بالله من خلال ما يستلزمه الدعاء من حضور القلب واستحضار لله تعالى.

الدعاء في السجود:

إن الدعاء هو الإقبال على الله تعالى والانقطاع إليه ليتحقق القرب من منازل الرحمة الإلهية، والسجود باعتباره روح العبادة حيث تتجلى فيه منتهى العبودية والخضوع للواحد الأحد يحقق الغرض المراد من

[1] الحجر، {87}.
[2] سورة المزمل، {4}.

الدعاء وهو القرب من رحاب الخالق جل وعلا فعلى العبد أن ينتهز فرصة القرب ليسأل من خزائن رحمة ربه وذخائر مغفرته (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

سبحانك اللهم أنت الواحد كل الوجود على وجودك شاهدُ

يا يحي يا قيوم أنت المرتجى وإلى عُلاك علا الجبينً الساجدُ

روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا إني نُهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمين (أي جدير وحقيق) أن يستجاب لكم).

دعاء الأنبياء عليهم السلام:

عندما نستعرض آيات الدعاء في القرآن نجد أن الأنبياء والرسل عليهم السلام الذين منحوا قدرات خارقة للعادة هم أكثر الناس دعاءً وتضرعا إلى الله عز وجل ولا شك أن الأنبياء عليهم السلام هم أعرف البشر بالله سبحانه وأعبدهم وأخلصهم وأكثرهم إيماناً وتوكلاً على الله ودعاءً من الله من جميع البشر لعلمهم أن الدعاء آصرة عظيمة بين العبد والرب عز وجل ولذلك كانوا أفضل الناس في دعاء الله سبحانه في السراء والضراء. وهذه نماذج من استجابة الدعاء في القرآن الكريم للأنبياء عليهم السلام:

دعاء نوح عليه السلام: أنظر كيف استجاب الله تبارك وتعالى لنوح عليه السلام وقد عودي وكُذب وأوُذي من قومه. لقد دعا ربه دعاءً عظيماً {فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ}[1] كلمات بسيطة ولكنها عظيمة مؤثرة

[1] القمر، {10}.

جامعة فيها سر الوجود ومعرفة الله ناصر كل مغلوب ومفرج كل مكروب وملجأ كل إنسان. وجاء الجواب صاعقا مزلزلاً من الله القوي العزيز {فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ}[1]. وكانت النجاة لنوح عليه السلام وللمؤمنين والهلاك والدمار والخزي للكافرين. إن دعاء سيدنا نوح عليه السلام (أني مغلوب فانتصر) فيه شعوران متضادان: –

الأول: الشعور بالضعف الشديد والافتقار الشديد إلى الله سبحانه.

الثاني: الشعور بالقوة والثقة والطمأنينة والسكينة.

وأعلم أخي الحبيب أنه كلما دعوت الله سبحانه بالشعور الأول كانت النتيجة الحصول على الشعور الثاني تلقائياً.

دعاء زكريا عليه السلام: أنظر إلى دعاء سيدنا زكريا عليه السلام وقد حُرم الولد وامرأته عاقر وقد كبر في السن فماذا كان دعاؤه {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ}[2]. ثقة مطلقة بالله تعالى وعلى قدرته على كل شيء ولو كان مستحيلاً في تفكير وعرف الإنسان العادي. فكانت الإجابة {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}[3]. ثقة وإيمان مطلق وإجابة فورية من السميع المجيب عز وجل.

دعاء سليمان عليه السلام: أنظر إلى دعاء سيدنا سليمان عليه السلام وهو من الأمم القديمة قبل التقدم العلمي الرهيب والتكنولوجيا يقول {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ

[1] القمر، {11-12}.
[2] الأنبياء، {89}.
[3] الأنبياء، {90}.

الْوَهَّابُ}[1]. طالما كان هناك دعاء وثقة مطلقة بالعلي القدير سبحانه لابد من إجابة فكان لسيدنا سليمان ما دعابة فهل سمعتم أو رأيتم ملكاً من الملوك أُوتي مثل ما أوتي سليمان عليه السلام حتى وقتنا الحاضر رغم التقدم العلمي والتكنولوجي ورغم كل شيء فلن يكون هناك إنسان عنده ملك سليمان. هكذا كان الدعاء ولقد تحقق وسيكون ذلك إلى يوم القيامة فلقد قال (لا ينبغي لأحد من بعدي).

دعاء إبراهيم عليه السلام: أنظر إلى دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام وتخيله يقف وسط صحراء لا زرع ولا ماء ولا شراب ولا حياة كأنه في كون ليس فيه معنى الكون وفي حياة ليس فيها معنى الحياة فما كان منه إلا أن دعا ربه قائلاً {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}[2]. فأحيا الله سبحانه هذه الأرض بعد موات (مكة) ورزق أهلها رزقا واسعا من حيث لا تدري استجابة لدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام فعمرت وسكنت وأصبحت كعبة الدنيا منذ ذلك اليوم وإلى أن يشاء الله سبحانه.

دعاء أيوب عليه السلام: وأنظر إلى سيدنا أيوب عليه السلام الذي ابتلاه الله بالمرض الشديد فصار قعيدا عاجزا. فدعا ربه دعاء يحتاج إلى تأمل وتدبر. قال {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}[3] فقد صبر عليه السلام دهراً متحملاً المرض الشديد وفقد الولد والمعين إلا رحمة الله محتسبا واثقا بالله تعالى، وعندما أصبحت حالته مستحيلة الاحتمال كان الدعاء (إني مسني الضر).

1ص، {35}.

2البقرة، {126}.

3الأنبياء، {83}.

فكانت الإجابة {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ}[1].

دعاء سيدنا يونس عليه السلام: حيث دعا سيدنا يونس عليه السلام ربه سبحانه وهو في ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل {وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}[2] فقد قدم عليه السلام التوحيد المطلق لله سبحانه ثم أقر بأنه كان من الظالمين لأنفسهم متوسلاً ربه في تلك الساعة الحرجة لينقذه مما هو فيه من كرب قاس وموت محقق. فكان الجواب (هو تخليصه مما هو فيه) {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ}[3].

دعاء سيدنا يوسف عليه السلام: سيدنا يوسف عليه السلام بعد أن يشكر الله سبحانه على نعمه العظيمة التي أنعم بها عليه فقد آتاه مُلك مصر بعد أن كان مملوكاً لملك مصر وسجيناً متروكاً لسنوات طويلة، وعلمه تأويل الأحاديث وتعبير الرؤيا، وبعد أن يذكر عظمة الله سبحانه في خلق السماوات والأرض، بعد هذا كله يتوجه إلى ربه مفوضاً أمره لله في الدنيا والآخرة داعيا الله سبحانه أن يميته مسلماً وأن يلحقه بالصالحين السابقين من الأنبياء والمؤمنين ومنهم أبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم

[1] الأنبياء، {84}.
[2] الأنبياء، {87}.
[3] الأنبياء، {88}.

السلام. {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}[1].

دعاء المؤمنين في كل زمان ومكان : {رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ}[2] فكانت الإجابة {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ}[3].

دعاء أكبر من كل الماديات وسفاسف الحياة، دعاء يسمو بالإنسان إلى رحاب الخالق العظيم الغفور الكريم والإيمان المطلق والثقة المطلقة به سبحانه.

مظاهر الدعاء في الشعر العربي القديم:

علاقة الإنسان بخالقه أزلية، ولا يستطيع أن ينكرها أحد مهما بلغت به درجة الجحود[4]،وقد خلقه الله سبحانه وتعالى ضعيفا {يُرِيد اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا}[5] فهو يؤوب إلى ربه، ترتسم على وجهه وقلبه علامات الانكسار والضعف والذلة، والدعاء هو الوسيلة الوحيدة التي يلجأ بها إلى الخالق محتميا به، مقرا بضعفه، راجيا هباته، باسطا شكواه وحزنه وألمه، وقد عرفت الحضارات والديانات مثل هذا

[1] يوسف، {101}.
[2] آل عمران، {193}.
[3] آل عمران، {195}.
[4] مسعود خرازي، فن الدعاء في الشعر الجزائري القديم مقاربة أسلوبية، مذكرة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماجستير في تخصص أدب جزائري قديم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية وآدابها 2008 ص 14-16.
[5] النساء، {28}.

الفعل التواصلي بين الإنسان وخالقه منذ القديم، وكُلما تطورت العقيدة، وتعمقت الرؤيا كلما أصبحت هذه العلاقة متينة مؤسسة على الإيمان القوي الذي لا يتسرب إليه الشك، "فكلما كانت النظرة أقرب إلى التوحيد أو نظرة موحدة فترى للدعاء صوتا هادرا يستلهم نشاطه من فطرة الإنسان وإحساسه الباطن بإله واحد قادر على كل شيء.

وهو قبل هذا وبعد هذا حال عاطفية تعبر عن مشاعر الإنسان نحو خالقه، وظهر أثر الدعاء في الشعر الجاهلي من خلال طقوس تعبدية مارسها الشاعر الجاهلي رغم وجود مظاهر للشرك؛ من عبادة الأصنام والشمس والقمر والنجوم وغيرها، وقد نص القرآن الكريم على إيمان بعض الجاهليين بقوله تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[1]، وقد مهد شعراء الحنفية للإسلام؛ فهم يؤمنون بوحدانية الله تعالى، يهيئون الأذهان لتقبل ذلك من أمثال ورقة بن نوفل وغيره، وثمة شعراء أيضا ممن استوقفتهم بعض حالات من التواصل مع ربهم، فأفردوا لذلك أبياتا ضمن قصائدهم بمختلف الأغراض التي سادت آنذاك؛ ومن ذلك قول أمية بن أبي الصلت يحمد ربه على نعمة التي من بها عليه، وهو يرفل فيها صباح مساء، طالبا إياه أن يبعده عن الكر، وأن يطهر سريرته بالإيمان:

الحمد لله ممسانا ومصبحنا بالخير صبحنا ربي ومسانا

يا رب لا تجعلني كافرا أبدا واجعل سريرة قلبي الدهر إيمانا

وقول ورقة بن نوفل يسبح ربه ويستعيذ به:

سُبْحَانَ ذِي العَرْشِ سُبْحَانًا نَعُوذُ بِهِ وَقَبْلُ قَدْ سَبحَ الجُودِي وَالجُمُدُ

مُسَخر كل مَا تَحْتَ السمَاءِ لَهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُنَاوِي مُلْكَهُ أَحَدُ

[1] لقمان، {25}.

كما دعا الشعراء لأحبتهم وأهليهم كمثل قول الخنساء ترثي أخويها صخرا ومعاوية، داعية لهما بالخير والسقيا لأرض حوتهما:

فَلاَ يبعدن اللهُ صخرا وعَهْدَهُ ولَا يُبْعِدَن اللهُ رَبِي مُعَاوِيَا

سَأَبْكِيهِمَا وَاللهِ مَا حَن وَالِهٌ وَمَا أَثْبَتَ اللهُ الجِبَالَ الرواَسِيَا

سَقىَ اللهُ أَرْضًا أَصْبَحَتْ قَدْ حَوَتْهُمَا مِنَ المسْتَهِلاتِ السحَابِ الغَوَادِيَا

ولم يقتصر الدعاء على الجانب الإيجابي منه، بل ذهب بعض الشعراء للدعاء على خصومهم ومناوئيهم، داعين عليهم بالويل والثبور والتقبيح، ومن أغرب ذلك أن يدعو أحدهم على نفسه أو على والديه؛ مما يدل على النكسة النفسية التي قد تلازم بعض المرضى، ومثل ذلك دعاء الحطيئة، على نفسه بقوله:

أَرَى لِيَ وَجْهًا شَوهَ اللهُ خَلْقَهُ وَقُبحَ مِنْ وَجْهٍ وَقُبحَ حَامِلُهْ

أو دعاؤه المبالغ في التمرد والعصيان على أمه العجوز بالشر، وبأن يريح الله الناس منها:

جزاك اللهُ شَرا مِنْ عَجُوزٍ وَلَقاكِ العُقُوقَ مِنَ البَنِينَا

تَنَحيْ فَاجْلِسِي عَنا بَعِيدًا أراح اللهُ مِنْكِ العَالَمِينَا.

وفي نهاية هذا الفصل نتوصل إلى أنه بالانطلاق من النظرة الشمولية للبلاغة، وكونها العلم العام للخطابات، يأتي دور إجلاء كيفية تطبيق آلياتها المنهجية وجوانبها الإبستيمولوجية في تحليل الخطاب الإقناعي، مع العلم أن" الحجاج "يطبق على كل النصوص والخطابات، فكل خطاب مقنع هو حجاجي، وحتى يتم اقناع المتلقي يتم عادة اللجوء إلى الدعاء إذ يعد هذا الأخير أحد الأجناس الأدبية

التي عرفت منذ زمن بعيد بقدرتها على التأثير في المتلقي. فقد أورد القرآن عددا من الأدعية على ألسنة الأنبياء السابقين بل حتى غير الأنبياء من عامة البشر، وأكدوا جميعهم على مسالة الدعاء وأثرها على حياة الانسان.

خاتمة

خاتمة

خاتمة:

لقد رشح الدعاء نفسه موضوعا للبحث، نظرا إلى قيمته، فالذاكرة الثقافية العربية والإسلامية على امتداد تاريخها الطويل، زخرت بكم هائل من النصوص الدعائية، المختلفة من حيث منتوجها، ومن حيث موضوعاتها ومن حيث حجمها، ومن حيث مناسبات قولها ومن حيث سياقاتها التداولية، ومن حيث إمكاناتها البلاغية العديدة.

هذا السبيل قادنا إلى جملة نتائج يمكن تلخيصها بحسب مباحث هذا البحث في الآتي:

-الخطاب الدعائي يكشف عن حس بلاغي إقناعي ينتظم جل النصوص.

-الخطاب الدعائي يهدف إلى إحداث التغيير في الآخر، فردا أو جماعة، من أجل تحقيق تغيير واقعي أشمل، يتخذ غاية له توجيه الكيان الإنساني، فردا وجماعة، نحو امتثال سبيل الحياة التكاملية التي يسير فيها على هدي مقتضيات رسالة الإسلام.

-الدعاء ذا بلاغة وظيفية ترتبط بالحياة وبتفاصيلها، وتنشد إخضاعها لمنظورات الدين.

-الدعاء واجهة جمالية لخدمة مشروع الدعوة إلى الله، وشكل امتدادا لواجهات أخرى كان الدعاة يؤدون من خلالها رسالتهم الإنسانية.

-تبعا لما سلف، يغدوا الخطاب الدعائي على قدر لا يستهان به من الغواية، يستحق بموجبها أن يصطف إلى جانب الخطابات التي علا شأنها في الثقافة الإنسانية، وفي تاريخ الإبداع البشري، لأن طبيعته المركبة، وخصوصيته ستجعلان منه خطابا ولاد أسئلة جوهرية باستمرار.

-لقد أطل البحث عن المجالات الخصبة للبلاغة العربية التي يعد الخطاب الدعائي، ما يجعل منه رافدا مهما في النقد والبلاغة، ويبقى استكمال البحث في هذا المجال من صميم الهموم الفكرية.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم، رواية حفص.

ثانيا: الكتب:

1-أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي الحافظ، شأن الدعاء، دار الثقافة العربية للنشر والتوزيع، ط3، سوريا، 1992م.

2-أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1 /، دار الكتب المصرية، مصر، ط2، 1952.

3-أبو عثمان بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، 1969م، نشر الهيئة العامة للتأليف والنشر.

4-أدعية النّبيّ صلى الله عليه وسلم، جمعها الشيخ: عبد المحسن العبّاد البدر رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

5-إسماعيل نواهضة، بلاغة النبي، عميد كلية القرآن والدراسات الإسلامية، فلسطين، مجلة الإسراء، العدد السادس، جمادى الأولى 1148هـ.

6-الجاحظ، البيان والتبيين2، مكتبة الخانجى للطباعة والنشر والتوزيع، ط 7، 1998 م.

7-الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1405هـ.

8-الأرزي تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي، خزانة الأدب ج2، تح: عصام شعيتوا، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1987م.

9-القلقشندي أحمد بن علي (ت 821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ج1، تح: د.يوسف علي الطويل، دار الفكر، دمشق، ط1 1987.

10-الموصلي أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، المثل السائر ج1، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 1995.

11-القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، ط 1،2013 .

12-بكر بن عبد الله بوزيد، تصحيح الدعاء دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1999.

13-باتريك شارودو، دومنيك منغو، معجم تُليل الخطاب، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008.

14-خالد بن سليمان الربعي، من عجائب الدعاء، دار قاسم للنشر، المملكة العربية السعودية، ط1، 2002م.

15-سعود بن محمد بن حمود العقيلي، الاعتداء في الدعاء صور وضوابط ونماذج من الدعاء الصحيح، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 2010م.

16-عبد الفضيل أحمد ادراوي، بلاغة الدعاء، بحث في المبادئ والسمات والوظائف، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ط 1، 2018.

17-عباس محمود العقاد، عبقرية محمد، تحقيق دار الكتاب العربي، طبعة جديدة منقحة ومراجعة، 1969م.

18-عبد المنعم عبد السلام الحلواني، النفحات المحمديّة، أدعية جليلة مقتبسة من الأدعية المرويّة وآداب الذكر والدّعاء وشرح أسماء الله الحسنى، دار الطباعة الأهلية بالقاهرة.

19-عودة، شواهد في الإعجاز القرآني دراسة لغوية ودلالية، ط1، عمان، دار عمار، 1998م.

20-مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط9، 1973م

21-محمد عبد الرحيم، الدعاء في الشعر العربي، ط1، بيروت، 2000م

22-محمد أشرف صلاح حجازي، الدعاء في القرآن، (د ط) ، 2012 م.

23-محجوب عباس، الحكمة والحوار علاقة تبادلية، عمان، ط1، إربد: جدار للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديثة.2006م.

24-نصر حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير دراسة في قضية المجاز عند المعتزلة، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ط1، 1998.

ثالثا: المعاجم والقواميس:

1-ابن منظور، لسان العرب، تصحيح أمين عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسه التاريخ العربي، بيروت، 3، ج4 ، مادة دعا.

2-أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج2، دار الفكر للطباعة والنضر والتوزيع، 1979م.

3-مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث القاهرة، 2007م.

4-خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط 5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980، ج 8، 196م، نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ج 2.

رابعا: المجلات:

1-حسين علي خليف الجبوري، آيات الدعاء في القرآن الكريم، بحث في آيات الدعاء كما جاء في القرآن الكريم.

2-سعاد الناصر، الدعاء سبيل الحياة الطيبة، العدد الخامس عشر بعد المائة.

3-علي كاظم محمد علي المصلاوي، عمار حسن الخزاعي، القصدية التواصلية في دعاء عرفة للإمام السجاد عليه السلام مقاربة تداولية، العراق، كلية التربية للعلوم الإنسانية، السنة السادسة، المجلد السادس العدد الخاص السادس، كانون الأول 2017.

4-عدنان زرزور، بلاغة النبي، بحث منشور في مجلة مركز البحوث الستة والسيرة، العدد 5.

5-عدنان زرزور، سمات البلاغة النبوية بين الجاحظ والرافعي والعقاد، الأستاذ بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية الشريعة، جامعة قطر، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، العدد الخامس، 1991م.

6-غالم عبد الصمد، تحليل الخطاب الحجاجي وفق استراتيجية الإيتوس في المشروع البلاغي لمحمد مشبال، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 08 عدد 05 الجزائر، 2019.

خامسا: المذكرات:

1-إيمان درنوني، الحجاج في القرآن الكريم سورة الأنبياء أنموذجا، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، تخصص علوم اللسان، الجزائر، 2013.

2-جدي ايمان، روابحي أحلام، الحجاج والمغالطة دراسة تداولية في سورة الفرقان، مذكرة تخرج تدخل ضمن نيل شهادة الماستر كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي تخصص علوم اللسان، الجزائر تبسة، 2017.

3-مسعود خرازي، فن الدعاء في الشعر الجزائري القديم مقاربة أسلوبية، مذكرة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماجستير في تخصص أدب جزائري قديم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية وآدابها 2008.

4-نور زمان مدني، الصورة البلاغية في الادعية القرآنية، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها قسم الدراسات العليا في الجامعة الوطنية للغات الحديثة، باكستان، 2011.

5-وداد طاهر محمد نصر، دعاء الأنبياء في القرآن الكريم، قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، في نابلس، فلسطين.